موسى والخضر

شعراً ونثراً

تأليف
محمد عايش عبيد
مشرف على شؤون القرآن الكريم
بالمعهد الدينى بالعريش

موسى والخضر

شعراً ونثراً

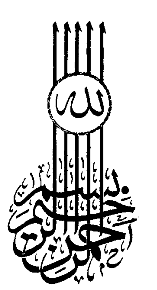
الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة

الإدارة :ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص.ب: ٢٣٠
ت: ٢٢٥٦٢٢٠/ ٢٢٥٦٢٣٠ ـ فاكس : ٢٢٦٠٩٧٤/ ٠٥٠
المكتبة : أمام كلية الطب ٢٢٤٩٥١٣ / ٠٥٠
E-Mail:DAR ELWAFA @ HOTMAIL . COM



تقديم كريم

بقلم صاحب الفضيلة - أبى الفضل - عبد الله بن محمد ابن الصديق الغمارى الحسنى، من علماء الحديث بالأزهر الشريف .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الأكرمين .

وبعد :

فقد أطلعنى صديقى الأديب ، الكاتب الإسلامى والشاعر الأستاذ / **محمد عايش عبيد** على مقدمة رسالته التى كتبها فى قصة موسى والخضر - عليهما السلام .

وللعلم ، فقد كتب فى هذا الموضوع، الشيخ « ماء العينين الشنقيطى » - رحمه الله - كتابًا سماه « السيف والموسى على قصة الخضر وموسى » .

وقد أطال الشنقيطى رحمه الله، فى كتابه هذا باستطرادات خارجة عن الموضوع ، لكن رسالة صديقنا : الشاعر الأديب محمد عايش عبيد ، هامة ، من حيث هى تختص بالقصة ، بغية استخراج ما فيها من الحكم والعبر والمواعظ ، واستنباط

دقائقها وخفى رموزها، فوجدته قد أفاض وأطاب وأجاد وأفاد، فى كلام متين ورصين، وأسلوب أدبى رشيق، جمع بين أسلوب البلغاء ، وتحقيق العلماء .

فلا غرو أن رسـالته تعتبر نموذجًا من البيـان العربى المشرق، الممزوج بالتحقيق العلمى ، والاستنباط الفقهى ، ومن ثم فإننى أهنئه على هاته الرسالة ، التى تعتبر تحفة فى بابها ، وأرجو أن يوفقـه الله إلى المزيد من أمثـالها ، وأن يطيل فى عـمره ، فى سلامة وعافية ، آمين ، والسلام .

الحافظ / **أبو الفضل عبد الله**

ابن محمد الصديق الغمارى

من علماء الحديث بالأزهر الشريف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، به أستعين، وعليه أتوكل ، وأسأله العون والمدد، والهداية والتوفيق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم أنبياء الله ورسله، هو أفصح العرب، أعطاه الله جوامع الكلم، بحيث يعبر بقليل من الكلام عن كثير من المعانى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ** ③ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ④ ﴾ [النجم] ، أخذ بأعنة الفصاحة والبلاغة والبيان ، فكان فارسها الذى لا يشق له غبار ﷺ .

وبعد :

فهذه رسالة صغيرة الحجم، بيد أنها كبيرة بما تحويه من معان، ولم لا . . . فهى تحكى أعجب وأغرب قصة وردت فى القرآن الكريم . . إنها قصة الرحلة الخالدة . . هى رحلة صحبة موسى للخضر عليهما السلام ، المذكورة فى سورة الكهف ، بدءًا من قوله تعالى فى الآية الكريمة : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاه ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ⑧② ﴾ [الكهف] .

هذه القصة لولا أنها مصوغة بأسلوب القرآن الكريم، المنزه عن

الكذب والأغراض والأهواء، والخرافة والخيال، لكان لنا فيها آراء وأقوال؛ ذلك لأن أحداثها لا تنسجم مع المنطق والعقل، فضلاً عن مخالفتها للمفاهيم الإسلامية المستقيمة والمتعارف عليها بين الناس.

أستغفر الله ، فنحن لا نعترض على ما جاءنا عن الله عز وجل ، بل نؤمن به إيمانًا كاملاً ، ونحنى هاماتنا إجلالاً له ، لكونه جاءنا عن المعصوم محمد ﷺ ، صادقًا متواترًا ، ونثق كل الثقة أن يد التحريف العابثة لم تصل إليه ، بل ظل مصونًا بعيدًا عن متناول الضالين المضلين ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ ﴾ [الحجر] .

أين منهاج شرع الله من منهاج الخضر ؟! :

من المعلوم لكل ذى عقل، أن كل الشرائع السماوية متفقة على مبادئ أساسية لا خلاف عليها مثل :

١ ـ توحيد الله عز وجل .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ ـ مكافأة السيئة بالحسنة .

٤ ـ الإيمان بالأنبياء والرسل . . . إلخ .

بيد أن المنهاج الذى سلكه الخضر، فى أفعاله خلال الرحلة

الخالدة ، يختلف كل الاختلاف عن المنهاج الذى جاء به كل أنبياء الله ورسله، هذا المنهاج الذى سلكه الخضر - فى ظاهره - لا يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل هو دعوة إلى غير ذلك !! أقول : فى ظاهره .. !

وهذا ما حدا بى وحفزنى؛ لأن أكتب القصة نثرًا ، بعد أن صغتها شعرًا، على أستطيع سبر أغوارها ، والإجابة على تساؤل حائر برز فى خاطرى ،منذ أن قرأت فى سورة الكهف ، وذلك منذ سنين طويلة .. وبعد زمن طال كنت خلاله دائبًا لا أكف عن البحث ، فى المراجع والتفاسير ، لعلّى أجد فيها ما يشبع النهم، ويبل الصدى ، عن تلك الفكرة التى لمعت فى خاطرى ، عن هذا الأمر منذ زمن، ثم خفتت .. وأخيرًا قررت أن أخوض لجة هذا البحر، بحثًا عن درة فى أعماقه ، متوكلاً على الله .. وهاكم البداية موجزة ، وهى مبنية على أحداث ثلاثة :

١ - خرق السفينة .

٢ - قتل الغلام .

٣ - إقامة الجدار .

إن الحديث الشريف فى صحيح البخارى يقول : « فمرت السفينة ، فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر ، فحملوهم

بغير نـول ـ أجر ـ فما أن استـقر بهم المقام فى السفـينة،التفت موسى نحـو صاحبـه الخضر، فـرآه يعالج لوحًا فى السـفينة ، فخلعه فخرقها » يالله!! أهكذا يكون جزاء من أحسنوا إليهم ؟! هذا لعمر الله يعتبر مكافأة الحسنة بالسيئة، وهو فى الوقت نفسه منكر يأباه العقل والعرف والأخلاق فضلا عن الدين .

وقال تعالى: ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَه ...** ﴾ لا غرو أنها جريمة قتل اقترفها الخضر،لقد قتل غلامًا صغيرًا ،لم يرتكب ذنبًا ، وجريمة القتل من أكبر الكبائر ، عقوبتها القتل قصاصًا.

أما الحادثة الثـالثة.وهى هدم الجدار وإعادة بنـائه ، فهذه لا مأخذ عليها ، لكونها من أفعال الخـير العظيمة التى لا يستطيعها إلا ذوو الهمم العالية .

الشريعة والحقيقة :

الواقع أن هذه القصـة تحكى لقاء خالدًا بين اثنين من أشـهر الرجال هما : موسى والخضر عليهما السلام ، لكن لكل واحد منهما شـرعة ومنهاجا ، يختلف عن شرعـة ومنهاج الآخر .. فأما منـهاج موسى عليه السلام فـهـو شرع اللـه الذى أنزله على كل أنبيائه ورسله ، فقاموا بإبلاغـه إلى أقوامهم ، فمن ثم انطبعت به مفـاهيم الناس ، وأشربته قلوبهم ،لذا فكل مـسلك يخالف هذا المنهاج ، يعتبر فى مفاهيم الناس وعقائدهم خطأ .

وأما منهاج الخضر فهو ـ علم الحقيقة ـ ذلك المسمى الذى ينتهجه ويدعيه رجال يطلقون على أنفسهم ـ الصوفية ـ إنه منهاج ليس مكتوبًا بحيث لم ينزل به كتاب من عند الله عز وجل، وبالتالى فلم نجد ولم يؤثر عن أحد من أنبياء الله ورسله، أنه دعا قومه إلى مثل هذا . . إذًا فنحن فى حِل من اعتقاد هذا المنهاج أو رفضه، ذلك لأن تفسير الأحداث بأسلوب الخضر عليه السلام ـ كما قدمنا ـ يصطدم مع منطق العقل، فضلاً عن تعاليم الشرع الحنيف.

تساؤل وحيرة واستنتاج :

لقد وقفت أمام هذه القصة والمعانى التى أتصور أنها مطوية فى ثناياها حائرًا، بحيث ظللت أقلب وجوه الآراء، أعتصر أفكارى، وأقدح زناد فكرى، بحثا عن بصيص من النور، أسير على هداه، علّى اهتدى إلى فك رموزها ، وبعد جهد وعناء مع أفكارى ونفسى أيقنت أننى أمام بيان علوىّ ، ومعان سامية هى أرفع وأسمى من أن يحوم حول حماها عقل بشرى .

أخيرًا ، قلت لنفسى: لعل هذه القصة ، جعلها الله تعالى، فى ثنايا آيات القرآن الكريم ، بمثابة ومضة كونية ، أضاءت جانبًا من هذا الكون ، كان مخفيًا عنا ، ثم انطفأت، أى كأن الله عز وجل يقول للناس ـ من خلال أحداث تلك القصة الفريدة:

إن لهذا الكون جوانب متـعددة ، وهو ملىء بالعوالم والأمم ، ولكل أمة نظامهـا ومفاهيمها ومنهـاجها ومعتقـداتها ، وما أنتم أيها الناس، إلا أمة من الأمم التي لا تحصى، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** (٣٨) ﴾ [الأنعام] .

وكـأن الله عز وجـل يقول أيضـا: فـلا تظنوا أن لكل الأمم والعوالم فى هذا الكون مفاهيم كمفاهيمكم ، لا، فلكل أمة من الأمم مفاهيمها، ولها منهاجها، وانطلاقًا من هذه المعانى المستنتجة أبادر فأقول :

فلعل منهاج الخـضر عليه السلام ، بأفعاله التى استغربناها، يكون واحدًا من هذه المناهج ؟! وأتصور أيضًا أن الله عز وجل يقول للناس - من خلال هذه القـصة بلسان الحال، لا بلسـان المقال: كان من الممكن أن أجعل هذا المنهاج الذى سلكه الخضر، والذى تعتبرونه خطأ - لكونه مخالفًا لمفاهيمكم وما تعارفتم عليه - كان من الممكن أن أجعله، هو منهاجكم، وأجعله هو المستساغ لديكم، فى أفهامكم وفى عقولكم، وأن أجعل منهاجكم الذى أنتم عليه، وتعتبرون كل ما سـواه خطأ ، أن أجعله هو الخطأ فى أفهامكم وفى عـقولكم !! بيـد أن الله عز وجل لم يفـعل هذا بنا ، بل

أقرنا على شريعة سمحة ، هى شريعة الإسلام .

خاتمة وبيان :

هذا الكتاب - موسى والخضر - صغت قصته شعرًا ، من وحى الآيات القرآنية فى سورة الكهف، إنه شعر موضوعى ، ليس فيه شىء من خيال الشعراء ولا كذبهم ، تلمح الإيمان يشع من ثنايا كلماته . . ثم أضفت النثر إلى الشعر، فجاء فريدًا فى بابه وأسلوبه .

لقد جعلت الآية القرآنية، أو جزءًا من الآية، حسبما يقتضى السياق، أعلى الصفحة، ثم جعلت الشعر المستوحى منها ، أدناها مباشرة ، ثم جعلت النثر الذى يفسر ما أجمله القرآن والشعر معًا ، بعد الشعر ، فجاء هذا التبويب موفقًا بفضل الله وتوفيقه .

المعهد الدينى القديم بالعريش

محمد عايش عبيد

رئيس نادى الأدب بالعريش

المقدمة الشعرية لكتاب « موسى والخضر »

مِن وَحْى قَولِ اللـــهِ أنـظُم قِصّة الـعِلْم المكين ١
هى قِصّة قـد أُنزِلـت فى مـحكم الـذكـر المبين ٢
تحكـى لقـــاءًا بـين قطبى عَصْرهـم ، هذا يَقين ٣
ذَاكم لِقـــاءُ المرسَلين مَع العـــبـــادِ الـصَالحين ٤
الصـــالحــون لهم علـومٌ غــيــر عِلـم المرسَلين ٥
مُوسى يَسِيـــرُ مُرافقًا أحـــد الرّجـــالِ الـعَارفين ٦
أفـعـال صَاحِبـه لهـا وَجـهـان لـلمـسـتـفـهـمين ٧
وَجْه يراه الشـــرْع حـــقًا ، شـــرْعُ ربّ العـــالمين ٨
الشـــرْع يـحكمُ بالظـواهر من سُلوك الفـــاعلين ٩
وهنـاك وجْهٌ غـــيـــر هَذَا لا يُرى للشـــارعين ١٠
لا يأخُذنّ بـظاهرِ الأفـــعَال عند الحـــاكـــمين ١١
بل يأخـــذن بما يغـــيبُ عن العـــيـون الـناظرين ١٢
قـالوا : فذا علم الحـقـيقـة وهو علم العـارفين ١٣

المؤلف / محمد عايش عبيد

الحلقة الأولى

أشعار الحلقة الأولى

فلنســـتـمع للقـصـــة العـصـمـاء بـالقـول الأمين ١
مـوسى كليم الله يخطب فى الجـمـوع الحاضـرين ٢
يتـلو علـيـــهم من كـــلام اللـه ذى النور المـبين ٣
سـألوه ، أى الناس أعلم ؟! كـان سؤال المستـبين ٤
قـال الكليم : أنا ، فـأخـطأ فى جـواب السـائلين ٥
إذ ينبـــغى منـه التـــواضع كـــونه فى المـرسلين ٦
فـيـقـول : لا أدرى ، فـذا فى علم رب العـالمين ٧
لكـن ربى إن يشــأ أمـــراً ، يكن فى كـل حين ٨
أيضـــا ورب العـــرش عـاتبـــه عـــتـاب الـلائمين ٩
إذ قال : يا موسى ، فـأعلم منك أحد الصالحين ١٠
فى مـجـمع البحـرين تلقـى ذلك الرجل الفطين ١١
موسى يـقول : أيا إلهى ، صـفه لى كى أسـتبين ١٢
كـيف السـبـيل لأن أراه لأهتدى كـالمهـتـدين ؟! ١٣
فـأجابه خـذ مـعك حـوتًا ، ثم سر كـالسـائحين ١٤

إذ ما فـقدت الحوت ، فـاعلم عنده الخبـر اليقين ١٥

تلقـى هنالك من تـريد ، فكن له كـالـتـابعين ١٦

مـوسى يـصـاحـبـه فـتـاه لرحلة العـلم المكين ١٧

الحـوت يحـمله الفـتـى فى مكتل كـالحـاملين ١٨

فى الدرب كـانت صـخـرة مـالا إليـها مـتـعـبين ١٩

فى ظلهـا لقـد استـراحـا من مسـيـر مـجهـدين ٢٠

وهناك كـانـت عين مـاء من جنـان الخـالدين ٢١

من مس ذاك الماء يـحـيـا بـعـد مـوت من سنين ٢٢

ولقـد توضـأ منه مـوسى كى يصلـى عن يقين ٢٣

مـاء الوضـوء أصـاب حـوتهـمـا وكـانا غـافلين ٢٤

عَادَتْ إليـــه حَيَاتُهُ من أمْرِ ربّ الـعَالمـين ٢٥

وغـلامُ مُوسـى صَار ينظر نـظرة المتـعَجّبين ٢٦

ورآهُ عِنْد نُزولِه فـى الـبَحْرِ بـين الـسّاربـين ٢٧

لما اسـتـراحـا من عَناء السّيـر سَيْر المجّهَدين ٢٨

رحـلا سَريعًا حـيث كـانا لـلمـسيـر مـسارعين ٢٩

قـد جَاوزَا ذاك المكان بسـرعـة المتـعـجّلين ٣٠

مُوسى يـواصِلُ سَيْره وفـتـاه مِثل الراحـلين ٣١

في رِحْلة قـد أنزلتْ فـى مـحـكم الذكـر المبين ٣٢
مـوسى تذكـر بَعـد أن رحَلا طـعـام الآكلين ٣٣
نادى فـتـاه وكـان مِطـواعًا وَذا عـقل ودين ٣٤
هيـا فـهـات غَداءَنـا ، فلقـد غـدونـا جَائعين ٣٥
قـال الفـتى : إنى نسيـتُ ، وإننى فى الآسـفين ٣٦
الحُوتُ صَار به الحـيـاة وكـان مـيـتًا عن يقين ٣٧
فى البـحـر يسْلك دَرْبه وسـبـيله فـى الذاهبين ٣٨
لكنّه الـشيطـان أنسـانيـه ، رأس المفـسـدين ٣٩
مُوسى تعـجّب حَيْث يسـمع ذلك القـول المبين ٤٠
وفـتـاه يحـكى آسـفًا نسْيـانه ذاك المشين ٤١
فـيقـول مُوسى : ذاك ما جـئناه يا ابن الأكـرمين ٤٢
هيّا نَعُدْ من حـيث جـئنا ، لا تخـف من لائمين ٤٣
لا تأسـفنّ فـإن ذا مـن أمـر رب العـالمين ٤٤
عـادا عـلى آثارهم يا نِعـم عـود المهـتـدين ٤٥

موسى عليه السلام يخطب فى بنى إسرائيل

....

فَلْنَسْتَمِع لِلْقِصَّةِ العَصْمَاءِ حَتَى نَسْتَبِين ١
مُوسَى كليمُ اللهِ يخطب فى الجموع الحاضرين ٢
يتلُو عليهم من كلام الله ذِى النور المبين ٣

ها نحن أولاء مع أحداث تلك القصة الفريدة، تلك القصة التى شاب على شاطئيها الفكر الإنسانى، ووقف العقل أمامها حائرًا، بل يكاد يكون عاجزًا. . ذلك لأنها استعصت ـ لغرابة أحداثها ـ على العقل البشرى، بحيث لم يستطع أن يتطاول إلى رحابها، أو يحوم حول حماها، أو يقتحم مجهولها، ليسبر أغوارها، أو يفك رموزها!!

هذا زعيم أنبياء بنى إسرائيل ، موسى كليم الله عليه السلام ، يخطب فى جماهير حاشدة من بنى إسرائيل، يعظهم ويعلمهم، إذ يتلو عليهم من كتابه ـ التوراة ـ ذلك الكتاب الذى تلقاه عن ربه عز وجل ، حين كان يناجيه من قمة جبل الطور .

إنه يشرح لهم ويخبرهم، عن عظمة الله وقدرته المطلقة فى هذا الكون وأنه خالق كل شىء، وبيده كل شىء، وإليه يرجع كل

شيء . . هو خالق النور والظلام، والأرض والسماء، رب الأولين والآخرين . . الليل والنهار من خلقه، والشمس والقمر مسخران بأمره . . الكل تحت قهره وأمره .

لقد أفاض موسى عليه السلام في عظاته البليغة، فذكرهم نِعَم الله عليهم إذ نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، ويذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، فأهلك الله عدوهم واستخلفهم في الأرض .

ثم قال: وكلم الله نبيكم تكليمًا، واصطفاه لنفسه ، وألقى عليه محبة منه ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، فجعلكم أفضل أهل الأرض، وأعزكم بعد الذل الذي كان مضروبًا عليكم ، وأغناكم بعد الفقر الذي كان يُذل أعناقكم . . . وأنزل لكم التوراة لتتعلموا بعد أن كنتم جهالاً .

وبينما كان موسى عليه السلام، يحدثهم بكلام يشبه الدر المنظوم، بادروه بسؤال - يا ويحه من سؤال - لقد كان سؤالا فيه غرابة ، ولا غرو فقد كان السؤال لغرابته ، دليلاً على نضح نفوسهم المريضة ، وطبيعتهم التي جبلهم الله عليها - وهي صفة الجدل - ولقد كان الجواب عن سؤالهم هذا ، هو السبب المباشر الذي ترتبت عليه أحداث تلك القصة الغريبة التي نحن بصدد الحديث عنها الآن .

خطأ موسى عليه السلام فى جوابه عن سؤالهم

....

سَألُوه ، أى الـنّاسِ أعْلَمُ ؟! كَان سُؤالَ المـسـتَبـين ٤
قـال الكليم : أنا ، فـأخطأ فـى جَوابِ السّائلين ٥
إذ ينـبَغِى منـه التـواضُع كـونُه فـى المرسـلين ٦
فـيـقـول : لا أدرى ، فـذاكم عند ربّ الـعـالمين ٧
لكن إذا شـاءَ الإله الأمـر كـان على الـيـقين ٨

ترى ، ماذا كانوا يريدون بهذا السؤال ؟!

الواقع: أن سـؤالهم فى هذا المقـام، ليس له مكان، ذلك لأن موسى عليه السلام، كان قائمًا فيهم خطيـبًا، يعظهم ويعلمهم بكلام فيه إشراق وبلاغة، كـلام يطرق الأسماع فيتـجاوزها إلى القلوب ، ليمس أوتارها ، ولم لا ، فهو يتلو عليهم من كتاب الله التوراة التى أنزلت علـيه .. ومن ثـم فهم لجـهلهـم ، وقلة أدبهم لم يراعوا أدب الاستماع ، فقطعوا كلامه ، وبادروه بالسؤال.

فماذا كان سؤالهم ؟!

هل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله؟ قال: لا .

وفى رواية أخرى قالوا : أى الناس أعلم ؟ قال : أنا .

لقد نسى كليم الله أن يتواضع فى جوابه عن هذا السؤال ـ الذى فاجؤوه به ولم يكن يتوقعه من سامعيه ـ فيرد العلم إلى الخالق العظيم ، فيقول مثلاً : لا أدرى ، فهذا علمه عند الله عز وجل ، وبالتالى فلا أستطيع الإجابة عنه .

ولا غرو، فموسى عليه السلام، نبى ورسول ويعلم أدب الجواب ، كيف لا ، وهو الذى اختاره مولاه ليكون كليمه ، دون أنبيائه جميعهم ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

نعم ، لقد اختار الله موسى لكلامه ، وهذا لعمر الله شرف ما بعده شرف ، بيد أن الله عز وجل إذا أراد أمرًا أمضاه ، رضى الناس أم كرهوا ، فمشيئة الله سبحانه وتعالى ، لا تتأثر برضاء الناس وسخطهم ، والأقدار لا تحابى أحدًا ، وليس بينها وبين أحد من الناس نسب أو صداقة ولا مودة .

عتاب الله لموسى عليه السلام

....

لكنّ ربّ العَرْشِ عَاتَبَهُ عتَابَ اللائمين ٩
مِنْ ثَم قَال لَه : فأعلمُ مِنك أحَدُ الصّالحين ١٠
فى مجمع البحرين تلقى ذلك الرجُلَ الفطين ١١

ما من شك فى أن موسى عليه السلام ، أخطأ فى إجابته عن السؤال الذى وُجّه إليه . أثناء خطابه فى جموع بنى إسرائيل .

« أى الناس أعلم ؟ قال : أنا » .

الواقع أن هذا الخطأ من الكليم ، لم يكن مقصودًا ، فهو عليه السلام حينما أجاب من سألوه بكلمة « أنا » .

ذلك لأنه نبى ورسول بالإضافة إلى كونه كليم الله .. وفى ظنه ويقينه أنه لا ينبغى أن يكون فى الناس ، أحد أعلم منه ، نظرًا لصلته بالخالق العظيم .

هذا بلا شك هو المتبادر إلى الأذهان،وهو الذى يعتقده كل الناس بلا استثناء .. إذن كانت إجابته بـ « أنا » ترجمة صادقة

وتعبيرًا عن هذه المعانى . . ولم يكن هذا من موسى جهلاً أو تعاليًا . . ونحن نبرئ موسى من هاتين الصفتين المذمومتين .

بيد أنه من باب ـ حسنات الأبرار سيئات المقربين ـ كان ذلك خطأ من موسى ، فمن ثمّ عاتبه مولاه على هذا ، بل عاقبه بأن أمره باتباع رجل أقل منه رتبة ومكانة فيتعلم منه (١) .

ياالله، لقد وجد موسى عليه السلام نفسه : أمام أمر إلهى لا مناص من تنفيذه . . ومن ثم فعليه أن يعد العدة ويتهيأ لرحلة لم تكن فى حسبانه قبل هذا الموقف . . وهو بالتالى لا يدرى أتطول تلك الرحلة أم تقصر .

بيد أنها على كل حال سوف تكون مفيدة . . ذلك لأنه سوف يرى من هو أعلم منه . . وهذا بلا شك يعتبر مغنمًا تتضاءل دونه كل المغانم . . فتحركت فى أعماق موسى الرغبة لإتمام تلك الرحلة عن حب ، وليس عن كراهة .

(١) هذا على رأى القائلين بولاية الخضر ، ونحن نختلف معهم ونقول بنبوته .

موسى عليه السلام يسأل ربه عن الرجل الصالح

....

مُوسَى يَقُولُ : أيَا إلهـى ، صِفْه لى كَى أستَبـين ١٢
كـيف السَّبـيلُ لأن أراه لأهتـدى كـالمهـتـدين ؟! ١٣
فـأجـابه ، خُذْ مَعَك حـوتًا ثُم سِرْ كـالسـائحين ١٤
إذ مـا فَقَدْتَ الحوتَ ، فـالزم عنده الخبر اليـقين ١٥
تلـقى هنـالك مَن تُريدُ فكُن لـه كـالتـابـعين ١٦

فى رواية: أن موسى عليه السلام قال: يا رب إن كان فى عبادك من هو أعلم منى، فادللنى عليه، فقال له: أعلم منك الخضر، قال: فأين أطلبه؟! قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا رب كيف لى به؟! قال: تأخذ حوتًا فى مكتل، فحيث فقدته فهو هنالك .

ولنعد إلى سياق حديثنا حيث كان موسى يخطب فى بنى إسرائيل، وقد سألوه أى الناس أعلم؟! قال: أنا، فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه، إن لى عبدًا بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: يا رب كيف لى به؟! قال: تأخذ

معك حوتًا فى مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم [١] .

فَسِرْ معه مرافقًا له، وتعلم منه، ولسوف تجده أعلم منك وأنت تراه يؤدى غرائب الأفعال، وحينئذ سوف تتيقن أنه أعلم منك ، ولا تملك إلا الانقياد له، والصدوع لأمره . . هذه لعمر الله ضريبة، بل عقوبة من الله لمن قال: أنا، وقد جاء فى الأثر: من قال أنا عالم، فهو جاهل، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[يوسف][٢] .

فى هذه القصة من الفقه، رحلة العالم فى طلب الازدياد من العلم، وكذلك الاستعانة على ذلك بالخادم أو الصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم .

على هذه المفاهيم، سار سلفنا الصالح ، فرسخت فى العلوم أقدامهم، فصاروا منارات للهدى، تقتفى آثارهم، ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم .

لا غرو فبصدور الأمر الإلهى لموسى، بدأت مقدمات أحداث القصة العجيبة التى ذكرها القرآن الكريم فى محكم آياته ، فى سورة الكهف بدءًا من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

---

(١) هذا على رأى القائلين بولاية الخضر .

(٢) جزء من الحديث ـ رواه البخارى .

موسى وفتاه يبدءان الرحلة الخالدة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) ﴾

مُوسَى يُصَاحِبُه فَتَاهُ لِرِحْلَةِ الـعِلْمِ المكِين ١٧
الحـوت يحـملـه الفَتَى فى مكتـلٍ كـالحـاملين ١٨
السـيـر أجـهـده فـمـال لِيَسْتَريح ويسـتكين ١٩

لقد حـزم موسى عليه السلام أمره ، وعـزم على السفر ، تنفـيذًا للأمر الذى تلقاه عن ربه من ناحية ، وطلبًا لمزيد من العلم من ناحية أخرى ، وقد اختار فتاه يوشع بن نون ، ليرافقه فى تلك الرحلة ، فهو قد كان يلازمه كظله يتبعه ويخدمه .

عندما بدأ الاثنان ـ موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون ـ أولى الخطوات على طريق تلك الرحلة ، المعروفة البداية ، المجهولة المسافة والنهاية، توجه موسى عليه السلام بالحديث إلى فتاه فقال له :
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ ﴾ .

وهكذا نرى أن موسى عليه السلام ، يُشهد فتاه على عزمه الأكيد، أنه سوف يواصل رحلته تلك،مهما تجشم من مشقة فى سبيلها،

أو لعله يستحث نفسه ويحذرها ، بل يستثير همته ويشحذها ، بل يُشهد نفسه على نفسه ، لكى لا تفتر أو تضعف عن مواصلة تلك الرحلة ، حتى لو استمرت زمنا طويلاً .

موسى عليه السلام يقول لفتاه يوشع بن نون ، الذى كان يخدمه ويتبعه ، لذلك سماه فتاه ﴿ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ لا أزال أواصل رحلتى إلى أن أصل المكان الذى أريده ـ وهو مجمع البحرين ـ قيل: هما ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق، وقيل : البحران هما : موسى والخضر ، فموسى كان بحر علم الظاهر ، والخضر كان بحر علم الباطن ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أو أسير زمانا طويلا . (تفسير البيضاوى) لا غرو أن معظم التفاسير المعروفة تدور حول هذه المعانى بزيادة تارة ونقصان تارة أخرى . . القرطبى وابن كثير والجلالين .

المهم . . لقد انطلق موسى عليه السلام ، وانطلق معه فتاه لبدء الرحلة الخالدة ، فأخذا حوتًا فجعلاه فى مكتل ، وحمله الغلام يوشع بن نون ، لا غرو أن الحوت كان لغرضين اثنين أحدهما: أن فقده هو علامة اللقاء بالعبد الصالح ، الذى أمره مولاه بالذهاب إليه ومصاحبته ليتعلم منه ، ثانيهما : أنه هو الزاد الذى حملاه معهما ليأكلا منه حينما يشعران بالجوع ، لقد مشيا ما شاء الله لهما ، فلما أجهدهما المسير ، رأيا صخرة ، فتوجها نحوها ليستريحا فى ظلها .

وصول موسى عليه السلام وفتاه إلى الصخرة

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾

وهناك كـانـت صَخـرةٌ فـيـهـا مـيـاه الخـالدين ٢٠
مَن ذاقَ ذاكَ الماءَ يَحْيـــا بَعْد مَوْت مـن سنين ٢١
أوْ كـــان حـــيًا لم يَمـتْ ويظلّ أَبَدَ الآبـدين ٢٢

كما أسلفنا ، فإن موسى عليه السلام ، ومعه فتاه يوشع بن نون، رأيا صخرة على جانب الطريق،لها ظل ، فـتوجها نحوها ونزلا فى ظلهـا للراحة من عناء السـفر الطويل ، لـقد قطعـا مسـافة طويلة سيرًا على الأقدام . . وكـان فى أصل تلك الصخرة عين ماء يقـال لها : الحـياة ؛ لا يصـيب من مائهـا ميت إلا حَيى ، ومن شرب منه خلد فلا يموت [(١)] .

وكان مـوسى قال لفتـاه حين بدءا الرحلة : « لا أكلفك إلا أن تخبرنى حيث يفارقك الحوت ، قال : ما كلفت كثيرًا » .

(١) هذه الرواية موجودة فى معظم التفاسير ، القرطبى ، ابن كثير ، البيضاوى ، مفاتح الغيب ، بأساليب مختلفة فأثبتـها هنا بتصرف عملاً بالأمانة العلمية ، ومن شاء الرجوع إليها فهى ثم .

يالله !! لقد تبين فيما بعد ، أن هذه الصخرة التى مالا إليها ليستظلا بظلها، ويستريحا من عناء السفر، ثم بعد ذلك يواصلان المسير ،لقد تبين فيما بعد ، أن هذه الصخرة هى المكان المحدد للقاء الخالد ؛ موسى بالعبد الصالح ـ الخضر ـ وأن عين الماء التى فى ظل تلك الصخرة ، هى عين ماء الجنة ، فلا غرو أن موسى وفتاه لا يعلمان بخاصية ذلك الماء،لذلك لم يشربا منه ؛ لأنهما لم يكونا قد شعرا بالعطش ، بيد أنهما ربما استعمالاه للوضوء ، أو لإزالة ما علق بهما من غبار أثناء السفر .

وكان موسى عليه السلام، قد أغفى قليلاً ليستريح من مشقة الرحلة، أما فتاه فلم ينم ؛ لأنه يعتبر نفسه كالخادم لموسى،فمن ثم يجب عليه أن يظل مستيقظًا ما دام سيده نائمًا .

قيل : توضأ يوشع بن نون من ذلك الماء ، فانتثر رذاذ الماء فأصاب الحوت ، فعادت إليه الحياة ، ووثب فى الماء .

لقد حدث هذا أمام بصر يوشع، فلم ينبث ببنت شفة دهشة واستغرابًا ، وقيل : إن الذى توضأ هو موسى ، وانتثر الماء من لحيته فأصاب الحوت .

عودة الحياة إلى الحوت

﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾

الماء مسّ الحُوتَ عَفْـوًا لـيسَ فعْل العـامـدين ٢٣
عـادت إليـه حَيـاتُه من أمْرِ ربّ العـالمين ٢٤
وغـلام مُوسـى صار ينظرُ نـظرة المتـعـجّبين ٢٥
ورآه عنـد نزُولهِ فى البـحـر بين السـاربين ٢٦

قدمنا ، أن يوشع فتى موسى ، توضـأ من ماء عين الحياة ، حين كان موسى نائمًا ، فتناثر الماء فـأصاب الحوت . . وفوجئ يوشع بالحوت يتحرك داخل المكتل،ثم خرج منه، واتجه صوب البحر ونزل فيه ، وانطلق ساربًا بين أمواج البحر ، مندمجًا مع أحيائه ، كأنه لم يكن ميتًا قبل ذلك .

يالله!! يوشع بن نون لم يكد يصدق عينيه،هذا هو الحوت الذى كان يحمله معه فى المكتل،قد عادت إليه الحياة،وانخرط فى البحر يمارس حياته بين أحياء البحر . .إنه لشىء يثير الدهشة والاستغراب، فسبحان الله الذى يحيى ويميت . . وجعل لكل شىء سببًا .

ومما علمنا من وقائع السيرة النبوية : أن يهود المدينة ـ لعنهم الله ـ كانوا قالوا لمشركى مكة :إنْ أخبركم محمد عن هذه القصة ـ موسى والخضر ـ فهو نبى وإلا فلا .

لا غرو أن هذا القول من اليهود ، يعتبر غباءً ، فليس حتمًا أن يكون النبى؛أى نبى عالمًا بكل القصص والوقائع التى حدثت فى الأزمان السابقة على وجوده .

وهذه القصة التى نحن نتحدث عن وقائعها الآن ، أكبر دليل على هذا،فموسى عليه السلام،مع كونه نبيًا مرسلاً،أمره الله أن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** (٧٦) ﴾ [يوسف] .

ولكن الله عز وجل،أكرم نبيه ورسوله محمدًا ﷺ، فأجاب الأسئلة التى أوحى بها يهود المدينة لكفار مكة،ليسألوها محمدًا، فكانت الإجابة،هذه الآيات المتضمنة لأحداث تلك القصة.. وهذه القصة كانت واحدة من ثلاثة أجوبة عن ثلاثة أسئلة هى ما يلى:

«أوفدت قريش نفرًا إلى المدينة على رأسهم النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط،ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية، فيطرحونها على محمد ﷺ،فقالت لهم اليهود: سلوه عن أهل الكهف،وعن ذى القرنين ، وعن الروح» .أ.هـ ملخصًا .سيرة ابن هشام .

آتنا غداءنا

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾

لمّا استَراحَا مِن عَنَاء السّيْـــر سَيْـــر المُجْهـــدين ٢٧
رَحَلا سَرِيعًا حـيـث كـانا للرحـــيل مُسَارعين ٢٨
قــد جــاوزا ذاك المكان بِسُرعــة المتــعـــجلين ٢٩
مُوسَى تذكـــر بعـــد أن رحـــلا طعـــام الآكلين ٣٠
نادى فـــتـــاه وكـان مـطواعًا ، له عـــقل ودين ٣١
هيـــا فـــهـــات غَدَاءَنَا فلقـــد غـــدونا جـــائعين ٣٢

لقد استيقظ موسى عليه السلام ، بعد أن كـان قد أغـفى قليلاً ، فما أن استيقظ حتى قال لفتاه : هيا لنرحل يا غلام ؛ ذلك لأنه كان مشغولاً ، بل متـشوقًا للقاء ذلك الرجل الذى أخبره مولاه بأنه أعلم منه وأمره أن يذهب للقاء به ويتعلم منه .

ما أن قال موسى لفتاه : هيا لنرحل ، كان فتاه على أهبة الاستعداد ، وسرعان ما غادرا المكان ، ليواصلا المسير بعد الاستراحة القصيرة التى قضياها فى ظل الصخرة التى كانت هى المكان المقرر للقاء موسى

عليه السلام ببغيته، ولكن كان ذلك مخفيًا عن موسى، وقد علمه فيما بعد.

لا غرو أن هذا الذى ذكرناه آنفًا . يعتبر مقدمات لرحلة الخلود التى خلدت فى وجدان الناس علمائهم وسوقتهم، وهى إحدى قصص القرآن الكريم .. وهى قصة عصماء ، لم تتكرر فى سور القرآن الكريم . كما تكرر غيرها من القصص القرآنى .

بعد أن رحل موسى وفتاه، وقطعا مسافة طويلة، شعر موسى عليه السلام بالجوع، فقال لفتاه ـ ونعم الفتى هو ـ كان أطوع له من بنانه، ما أن يشير إليه . حتى يعرف ما يريد فيبادر بتنفيذه . ناداه موسى قائلاً : يا غلام ! تعال نَمِلْ عن الطريق قليلاً، فلنجلس كى نتناول طعام الغداء . فلقد أجهدنا طول السفر ، ولم نتناول طعامًا خلال سفرنا قط .

مع المفسرين :

« ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ...** ﴾ الآية » قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد . فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر ، ألقى عليه الجوع والنصب، البيضاوى، ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ....** ﴾ أى المكان الذى نسيا الحوت فيه ، فلما ذهبا عن المكان الذى نسياه فيه مرحلة ، قال موسى لفتاه : ﴿ **لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا** ﴾ ابن كثير .

التذكر بعد النسيان

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه ﴾

قال الفتَى : إنى نَسيتُ وإننى فى الآسفين ٣٣
إنى نَسِيتُ الحُوتَ بالشيطان رأس المفسدين ٣٤
الحوت صار به الحياة وكان ميتا عن يقين ٣٥

فوجئ يوشع بن نون ـ فتى موسى ـ بموسى يطلب منه طعام الغداء ، حينئذ فقط تذكر ما كان قد نسيه ، لقد نسى أن يخبر موسى عليه السلام بأعجب منظر رآه فى حياته ، ألا وهو عودة الحياة للحوت ، ونزوله فى البحر ، ومارس حياته بين أحيائه كأنه ما كان ميتًا من قبل . . يوشع يقول لموسى عليه السلام :

﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ يعنى: الصخرة التى نزلا فى ظلها بالأمس، فى مجمع البحرين ـ وكان موسى عليه السلام قد أغفى هنالك فى ظلها ـ وأثناء غفوتك، حدث شيء هو أعجب من العجب، رأيت الحياة عادت إلى الحوت، ورأيته نزل فى البحر وأنا أنظر إليه، ولم أشأ أن أوقظك لترى معى ما رأيت، فقلت فى نفسى: سأخبره بما رأيت بعد أن يستيقظ، فلما استيقظت وقلت: هيا

للرحيل ، نسيت أن أخبرك بما رأيت ، برغم أنه قد أدهشني ـ فإني نسيت الحوت ـ أي نسيت أن أذكر لك خبره ﴿ **وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه** ﴾ . قال البيضاوي في تفسيره : « وهذا يعتبر اعتذارًا من فتى موسى ، عن نسيانه ، بشغل الشيطان له بوساوسه ، والحال وإن كانت عجيبة لا يُنسى مثلها ، لكنه لما ضرى ـ اعتاد ـ بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها ، قل اهتمامه بها .

ولعله نسى ذلك لاستغراقه في الاستبصار ، وإنجذاب شراشره إلى جناب القدس ، بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة ، وإنما نسبه إلى الشيطان هضمًا لنفسه ، أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر ، يُعد من نقصان صاحبها .

وقيل : لما نزل موسى وفتاه في ظل الصخرة ، ونام موسى وكان ذلك في مكان ثريان الماء ـ الأرض مبللة ـ على ساحل البحر ، وتحرك الحوت وموسى نائم ، فقال فتاه : لا أوقظه وسأخبره بعد أن يستيقظ ، لكنه نسى أن يخبره بعد أن استيقظ فاعتذر لموسى عند هذا النسيان قائلاً : ﴿ **وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه** ﴾ الواقع أن الإنسان المؤمن ، ينسب كل شيء أصابه يكرهه إلى الشيطان ، وتلك لعمر الله صفة أصيلة في كل مؤمن ، ويبدو أن هذه تعتبر ترجمة لما هو مستقر في ضمائر المؤمنين ، من كون الشيطان عدوًا لهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ... ﴾
[فاطر : ٦]

فتى موسى يحكى له عن نسيانه
﴿ ... وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

فـى البَحْرِ يـسـلك دَرْبَه وسَبِيـلَه فـى الـذاهبـين ٣٦
مـوسَى تَسَمَّع من فـتـاه لـذلك القـول المبين ٣٧
وفـتـاه يحكـى آسِفًا نِسْيَـانه ذاك المشين ٣٨

﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قيل: فكان للحوت سربًا ، ولموسى وفتاه عجبًا !!

لقد تحرك الحوت فدخل البحر، فأمسك الله عنه حركة الموج، وانشق الماء حتى صار أثره باديًا للعيان، كأن أثره فى تراب وليس فى الماء، لقد كان يوشع يقص على سمع موسى عليه السلام، قصة إعادة الحياة للحوت، وقد كان موسى فى الوقت نفسه، يسمع لفتاه، والدهشة بادية على محياه، لا غرو أنها دهشة ممزوجة بالسرور، لماذا ؟!

ذلك لأنه قد أمضى يومين أو يومًا وليلة، مسافرًا هو وفتاه ، يبغيان الوصول إلى ذلك المكان . الذى فُقد فيه الحوت . . هذا المكان هو مجمع البحرين . وهو المكان المحدد لموسى عليه السلام ،

ليلتقى فيـه ببغيته الذى أخبـره مولاه بأنه أعلم منه . . والأمارة الأكيدة التى فهمها موسى من مولاه ، لمعرفة ذلك المكان هى : فقدان الحوت ، الذى أمر بحمله معه أيضا .

فلما انتهى يوشع من حديثه،عن إعادة الحياة للحوت،ونسيانه أن يخبر موسى بذلك فى حينه،وإبداء أسفه؛لأنه لو تذكر وأخبره فى حينه،لما تجشما معا مشقة السفر الطويل.بيد أن موسى عليه السلام، لم تظهر على محياه علامة للغضب،كـما كان يتصور فتاه بسبب ذلك النسيان،بل رأى فى وجه موسى الرضا باديا على محياه .

فمن ثم اطمأن يوشع لمظهر الارتياح الذى انعكس على محيا موسى عليه السلام .

وكأنى بموسى حينما كان يستمع لفتاه،وهو يقص عليه خبر إعادة الحياة للحوت،ونزوله فى البحر،كان قلبه يرقص طربًا وسرورًا .

يالله!لقد وجد موسى ضالته،فالذى يعتبره يوشع بن نون سيئة. يعتبره موسى عليه السلام حسنة بل نعمة كبرى منّ الله بها عليه. . ولم لا ، فهذه هى ضالته التى تجشم مشـقة المسيرة الطويلة المجهدة لأجلها. . من ثـم هتف شاكرًا مـولاه بلسان الشكر ، وحـمده بلسان الحمد ، على أن قرب له مـا كان يظنه بعيدًا . . إذن فهو على وشك أن يلتـقى ببحـر العلم الذى سوف ينهل منـه حتى يرتوى ، سيلتقى بالرجل الذى سوف يجد لديه ما يجهله .

لم يغضب موسى عليه السلام لنسيان فتاه

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾

فـيـقُولُ مُوسَى : ذاك مَا نَبْغيـه يا ابن الأكـرمين ٣٩
لا تأسَفَنّ فـإن ذا من أمـر ربّ العـالمين ٤٠
هيـا نَعُدْ من حـيث جـئنَا لا تخـفْ من لائمين ٤١
عـادا علـى آثارهم . يا نِعم عَوْد المهـتـدين ٤٢

ها نحن أولاء ، لا نزال مع موسى عليه السلام ، وهو جذلان سعيد ، تملأ الفرحة جوانحه ، لكونه قاب قوسين أو أدنى ، من اللقاء المرتقب بضالته المنشودة .. اللقاء بالرجل الذى سوف يجد لديه من العلوم ، فوق ما كان يعلمه هو .

موسى عليه السلام ، يقول لفتاه يوشع : هون عليك ؛ ذلك لأن يوشع أبدى أسفًا شديدًا ، لنسيانه أن يخبر موسى بفقدان الحوت فى حينه فيقول له :

﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أى : هذا هو الذى جئنا من أجله ، فلا تأسف أيها الفتى الطيب المطواع ، فأنا أعلم صدقك وحسن

نيتك، ولا غرو فالمكان الذى فقد فيه الحوت بالأمس، هو مبتغانا ومطلبنا ، وهو الذى كان السبب فى هذه الرحلة ، وقد تجشمنا مشقة السفر الطويل ، للـوصول إليه ولمعرفته ، وها نحن الآن قد عرفناه ، وقد كنا نجهله قبلاً ، فحمدًا لله على ذلك .

فلا تأسف على ما حدث، فالأمور كلها تجرى بأمر الله تعالى، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . . فالخطوات التى مشيناها، كان مقدرًا علينا أن نمشيها . . والآن بعد أن عرفنا المكان الذى نريده، فلنعد من حيث جئنا، ولا لوم عليك، ذلك لأن الخطأ الذى وقع منك ، لم يكن عن سوء نية ، بل كان عن حُسن نية . . وهذا أمر لايد لك فيه . . إذ كل البشر مـعرضون للنسيان ؛ لأنه آفة تصيب كل إنسان . . وقد نسى أبونا آدم من قـبل: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ [طه] .

﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ .

فعادا على نفس الطريق التى جاءا منهـا ، يقصان آثارهما ، كأنهمـا قصاصو أثر ، لكن شتان مـا بين المجىء والعودة ، لقد جـاءا وهما يجـهلان المـكان الذى يريدانه ، والآن قد عـادا ، وهما عارفان المكان . قال الشاعر العربى :

إذا كانت النفوس كبارًا تعبت فى مرادها الأجسام



الحلقة الثانية

أشعار الحلقة الثانية

مُوسَى وَمَــــعـــــهُ غُلامُه ، عَادَا مَعَادَ المُسْرِعين ١

للصّخــــرة الشـــمّاء عـــادا حَيثُ كـانـا نازلين ٢

وَجَدَا هنالـك واحـــدًا هو من خـــيــار المـؤمنين ٣

ذاكم هُو الخـضـر الذى عَرفَ الحـقيـقـة واليـقين ٤

هذا الذى مـن أجله مـــوسى أتى كـى يســتـــبين ٥

وجَدَاه يجلـسُ فـــوق خُضْر (١) باديًا لـلناظـرين ٦

أعطـاه ربّ العــــــرش من كـنز الـعلـوم الأولين ٧

أعطـاه رَحْمـــتَه وعلمًا فـــاق علم الـعـــارفين ٨

علـمًا تحــــارُ لـه العُقُولُ ، يُخَالف الـشّرْع الأمين ٩

مـوسَى أتـاه مـحـيًا ، بـتـحـيــة للمــسلمين ١٠

الخـضــر قال : فـلا سـلام هنا بأرض الكافـرين ١١

مَنْ أنت؟! أخبرنى بِصدْق ، قال موسى كى يُبين ١٢

---

(١) يقـال : إنه كان يجلس على فـروة خضـراء ؛ لأنه لا يجلس على شىء إلا تحول لونه إلى الخضرة .

إنـى رسُولُ الـلـهِ مُوسى ، مُرْسَل لـلـمُجْرمـين ١٣
من ثَم قال : فما مَجيئك ؟! قال : لِلعلم المكين ١٤
أبغـى التَزَوُّد مـن علوم الـعـــارفين الـصَّالحين ١٥
من أمـر ربى جـئتُ أبحث عنك بحث الطالبين ١٦
الخضر قال : فـأنت موسى ، أنت ذو علم متين ١٧
علـمٌ مِنَ التّوراة يحـكم فى القَضَايـا الظاهـرين ١٨
لا ، ليس أعلمـه ، فـإنى فـيـه مِثل الجـاهلين ١٩
لكنّ علمـى غـيـر علمك ، ذاك علـم العـارفين ٢٠
مُوسَى يقـول له : فـإنى قـد أتيت لأسـتـبين ٢١
فلـتُعطنِى شـــرف المتـــابع للتّعـلم واليـــقين ٢٢
الخـضر قـال : أراك سوف تكـون فى المتعـجلين ٢٣
لن تسـتطيع الصـبـر مما قـد ترى ، لن تسـتكين ٢٤
مُوسَى يَقُولُ لَه : فـــــإنـى بـالإله سَأستَعـين ٢٥
إن شـاء ربى سَوف أصْبــرُ شِيـمـة المتـجلّدين ٢٦
لا ، ولـن أعْصَاك إنى لـلأوامــــــر مُسْتكـين ٢٧
سُؤلى فَسَوفَ أكـفّه ، أيضـا لسـانى لـن يبين ٢٨

الخضرُ قال له : فهيّا كنْ معى كالتّابعين ٢٩
مهما فَعَلْتُ من الغريب ، فَلا تكن فى المنكرين ٣٠
فاصْبِرْ على ما قد تَرَاهُ تفُزْ بعلم العارفين ٣١
لا تعتَرَض إذ ما رأيت الفعْل مما قد يُشين ٣٢
هذا له عندى من التأويل يُرضى المستبين ٣٣
مُوسَى ومعه غُلامُه والخضرُ ساروا أجمعين ٣٤
فى رحْلةٍ قد سُجّلت فى محكم الذكر المبين ٣٥
مع سَاحِلِ البحر استَمرّوا فى طريق الراحلين ٣٦
هم يبتغون سَفِينَة كى يركبوها مبحرين ٣٧
إحْدى السَّفائن أقبلت قد جُملتْ للناظرين ٣٨
أهْلُ السّفينة كلهم للخضر كانوا عارفين ٣٩
قد أركبوه وصاحِبَيهِ بغَيْر نولٍ (١) مكرمين ٤٠
قد واصَلَتْ تلك السّفينة سَيْرها بالراكبين ٤١
الخضر فى ركن السّفينة جالسًا كالآخرين ٤٢
خَرَقَ السفينة عامدًا ، لم يخش لوم اللائمين ٤٣

---

(١) أى بغير أجرة .

مـوسى رآه فـقال مـا هذا بفعْل الشـاكـرين [١] ٤٤
أخَرقْتَهـا يا صـاح هل هَذَا جَزَاءُ المحـسنين ؟! ٤٥
قـد أركـبـونـا دون أجْر ، لم يكونوا بـاخلين ٤٦
إذ ينبـغـى شكرانهم ، أو قـد غـدونا جـاحِدين ٤٧
إن السّفـينة سـوف تغـرق والرجـال المـالكين ٤٨
تـاللـه هَذا الفعْل تـنكـرهُ عُقُولُ الفـاهمـين ٤٩
الخضـر يـنظرُ نـحـو مُوسَى نظـرة المتلـومين ٥٠
مِن ثَم ذكّره بِشـرْط أبْرَمَـاهُ كـمـرتـضين ٥١
أن لا سُؤالَ ولا اعتْراضَ ولو رأى مـا قـد يُشين ٥٢
لا ينْبِسَنّ بِبنْت شفَةَ كـالشـروط المبـرمين ٥٣
مُوسَى يَقـولُ له : فَعُذراً قـد نسيت على اليـقين ٥٤
إنى نَسِيت فـلا تؤاخـذنى بـذنب العـامـدين ٥٥
ولسـوف أصـبـر بعـد هذا شـيـمـة المتـجلّدين ٥٦

---

(١) أى : شكر أصحاب السفينة .

عودة موسى عليه السلام إلى الصخرة

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا ﴾

مُوسَى ومـعـه غُلامُه عَادَا مَعَادَ المسـرعين ١
للـصَّخـرة الشـمـاء عَادا حَيثُ كَانـا نَازِلين ٢
وَجَدَا هنالـك واحـدًا هو من خـيـار المـؤمنين ٣
ذاكم هو الخـضـر الذى عرف الحـقـيقـة واليـقين ٤

كما قدمنا ، فإن موسى عليه السلام ، ومعه فتاه يوشع بن نون ، عادا يبغـيان المكان الذى كانا نازلين فيـه بالأمس ، عند الصخرة التى فى ظلهـا عادت الحـياة إلى الحوت .. واتـخذ سبـيله فى البحر سربًا .لقد عادا مسرعين .. والفرحة تملؤهما ، ولم لا ، لقد اهتديا أخيرًا إلى الضالة التى ينشدانها .

وكأنى بموسى عليه السلام ، آنذاك يدير حوارًا بينه وبين نفـسه ، وذلك أثناء عودتهما ، فيقول مثلاً :

عما قليل بإذن الله سوف ألتقـى بالعبد الصالح الذى أمرنى ربى بالمسـير إليـه لأتعلم منه .. ترى ما هو العلم الـذى سوف يكون معه وأجهله ؟!

ثم يجيب على تساؤله هذا بقوله: هذا شيء لا أدريه، ولو كنت أدريه ما أمرني ربي بهذه المسيرة الطويلة، لأتعلم ما لم أكن أعلمه من قبل.. وهو بلا شك سوف يكون فوق ما أعلم، كما يقول المولى عز وجل ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ [يوسف] .

لقد وصل موسى وغلامه إلى المكان الذى نزلا فيه بالأمس، عند الصخرة - مجمع البحرين .

موسى وغلامه، على بُعد أبصرا رجلاً نائمًا مسجىً بثوب .. يا لله !! هاهما الآن أمام الحقيقة وجهـا لوجه.. موسى عليه السلام يقول فى نفسه : ترى أهذا هو الرجل الذى أراه مسجىً ؟! أهو الذى جئت للقائه ؟!

ثم يجيب على تساؤله فيقول : نعم ، لابد أنه هو ؛ ذلك لأن هذا المكان ليس فيه أثر للعمران .. ولم نر فى طريقنا أحدًا من الناس فى هذا المكان النائى .. إذن فلاشك أنه هو .

ولقد صدق حدس موسى عليه السلام .. إنه هو الخضر الذى أعطاه مولاه علمًا لم يعطه لأحد قبله ولا بعده .

لقيا موسى عليه السلام بالخضر

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

هَذَا الـــذى مِنْ اجْلِهِ مُوسَى أتـــى كَى يَستَبــــين ٥
وجَدَاهُ يجـلسُ فـــوق خُضـــر باديًا لـلناظـرين ٦
أعْطاه رَبّ الـعـــــرش من كـنز الـعلـوم الأولين ٧
أعطـاه رحْمـــتَه وعـلمًا فـــاق علم العــــارفين ٨
علمًا تحـــارُ له العـقـــول يخـالف الشـــرع الأمين ٩

نعم ، هذا هو الخضر .. هذا هــو الرجل الذى وصفه الله لموسى عليه السلام بأنه أعلم منه .. ولذلك أمره بـالمسير إليه ليـتعلم منه ،لا غرو أن لهذا الرجل عند الله مكانة عظيمة.

فلما اقـتربا منه وجداه يجلس على مكـان يغلب عليه اللون الأخضر ، وتحـته فرو أخضر ، ذلك لأنه كمـا قيل : ما جلس على شىء إلا تحول إلى اللون الأخضر .

هذا الذى اختاره مولاه، فأعطاه من كنوز علمه وأسرار حكمته، علمًا تتضاءل دونه كل علوم البشر .. علمًا تحار له العقول .

هذا العلم لا يخضع للمفاهيم المعروفة ، التى ترتضيها العقول ، فالذى نراه شرًا بمفاهيمنا ومعلوماتنا المستمدة من قانون المشرع الإلهى ، الشرع الذى أنزل الله به الكتب السماوية على الرسل جميعًا ، هو فى علم الخضر خيرًا !!

وهكذا مما سوف تأتى به الأحداث فى الصفحات القادمة ، من أفعال الخضر التى استغربها موسى عليه السلام ، وثار لأجلها ؛ ذلك لأنها فى رأيه فى شريعته خطأ ، وفاعلها يستحق اللوم على بعضها والعقاب على بعضها الآخر .

ولكن موسى عليه السلام كان يعتذر للخضر فى كل مرة عن اعتراضه ؛ ذلك لأنه كان أخذ عليه شرطًا فى بدء الرحلة ، ألا يعترض على أى فعل يراه مهما كان نوعه .

« قيل: الرحمة فى هذه الآية هى النبوة ، وقيل : النعمة ، والعلم هو : علم الغيب » .

....

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾

مـــوسَى أتاه مـــحـــيّيًا بتـــحـــيّة للـمُسْلمين ١٠
الخَضْر قَالَ : فـــلا سَلامَ هُنا بأرْضِ الـكافـــرين ١١
مَنْ أنت ؟! أخبـرني بِصِدْقٍ قال مـوسى كي يُبِين ١٢
إني رسُولُ اللـهِ مُوسَى مـــرسلٌ للمـــجــرمين ١٣
الخِضْر قال : فما مـجيئك ؟! قال : للعلم المكين ١٤
أبغى الـتـــزوُّد من علوم العـــارفـين الصـــالحين ١٥
من أمـر ربي جـــئت أبحث عنك بحـث الطالبين ١٦

موسى عليه السلام وغلامـه يوشع بن نون ، وصلا إلى الصـخرة التى كانا نازلين عندها بالأمس ، وفقـدا الحوت عندها .. وكانا رأيا رجلاً مـسجىً بثوب من بُعد .. فلمـا وصلا عنده ، سلم عليه موسى بتحية المسلمين .

فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟! من أنت ؟

قال : أنا موسى .

قال : موسى بنى إسرائيل ؟!

قال : نعم . أتيتك لأتعلم منك . إنى تواق وشغوف للمزيد من العلم ، لا سيما علوم العارفين الصالحين . وما جئتك إلا بأمر من ربى عز وجل .

بحيث أشعر بشوق لرؤيتك . لأنال من العلم الذى اختصك الله به ، فبرغم أنى رسول من الله عز وجل . مرسل إلى أقوام يعتبرون من أشرّ الناس . . أناس ساد الفساد فيهم ، لا يأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر ، قست قلوبهم ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وفشا الظلم بينهم ، إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإذا سرق فيهم الشريف تركوه . . قد عطلوا شرع الله فيما بينهم . . فصاروا لا ينكرون منكرًا . . أقول : برغم أننى رسول من الله عز وجل ، فهأنذا أجيء إلى الرجل الذى لديه علوم أخرى غير التى أعلمها . . وإنى لأشعر بفخر وسعادة لكونى سرت هذه المسيرة إليك . . وهذا كله فى سبيل الحصول على العلم . . ولا غرو فأهل العلم جديرون بأن يسعى الناس إليهم ، فهم أهل الفضل فى الدنيا والآخرة .

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

هذا سؤال من موسى فيه ملاطفة وحسن أدب . . أى هل يتفق لك ويخف عليك؟! وهذا كقول الحديث الشريف : هل تستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله يتوضأ . (تفسير القرطبى . بتصرف) .

الخضر يحذّر موسى عليه السلام من التسرع

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

الخضر قال : فأنتَ مُوسَى أنتَ ذُو عِلمٍ متين ١٧
عِلمٌ مِنَ التّوراة يحكمُ فى القضايا الظاهرين ١٨
لا ، ليسَ أعلَمُه فإنى فيه مثلَ الجاهلين ١٩
لكنّ عِلمى غيرَ علمك ، ذاك علم العارفين ٢٠
مُوسَى يقُول له : فإنى قد أتيتُ لأستبين ٢١
فلتُعطنى شرَفَ المتابع للتّعلم واليقين ٢٢
الخضر قال : أراك سَوفَ تكون فى المتعجلين ٢٣
لن تستطيع الصبْر ، مما قد ترى لن تستكين ٢٤

ما توحى به الآيات فى هذه القصة الفريدة : أن المتعلم تبع للعالم،وإن تفاوتت المراتب. .ولا يظن ظان أن فى تعلم موسى من الخضر ، ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول . والفضل لمن فضله الله .

فالخضر إن كان وليًا ، فموسى أفضل منه ؛ لأنه نبى والنبى أفضل من الولى ، وإن كان نبيًا فـموسى أفضل منه بالرسالة . (القرطبى بتصرف) .

قال الخضر لموسى: ياموسى إنى على علم من الله علمنيه ، لا تعلمه أنت . وأنت على علم من الله علمكه ، لا أعلمه .

ولما قال لـه موسى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ أى: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما سوف تراه من أفعالى؛ لأن الظواهر التى هى علمك، لا تعطيه.. وكيف تصبر على ما تراه خطأ ، ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ، ولا طريق الصواب ، وهذا معنى قولـه تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

والأنبياء لا يقرون على منكر ، ولا يجوز لهم التقرير .. أى لا يسعك السكوت جريًا على عادتك وحكمك .

على كل حال موسى ﷺ لأول وهلة أسلم القياد للخضر، والخضر كان على مستوى المعلم .. وأخذ يخبر موسى بما سوف يحدث منه مستقبلاً مما سوف يراه من أفعال فيها غرابة ، ولا تتفق مع منطق العقل والحكمة فقال : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

موسى عليه السلام يؤكد للخضر التزامه

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) ﴾

مُوسَى يـقُولُ لهُ : فإنّى بالإلـه سَأسْتـعين ٢٥
إنْ شـاءَ ربـى سَوْف أصـبر شيـمة المتـجلدين ٢٦
لا ، ولـن أعـصَاكَ إنى للأوَامر مُسْتـكين ٢٧
سُؤْلى فَسـوف أكـفّه أيضـا لسـانى لـن يبين ٢٨

لما قال الخضر لموسى عليه السلام : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) ﴾ .

هكذا أجاب موسى ، إجابة فيها التزام قاطع ، بأنه سوف يسير معه تابعا له ، لا يخالفه ولا يعترض على شىء يفعله .

بيد أن موسى ما كان يدرى عن حقيقة ما سوف يصبر عليه مستقبلاً ، ولا غرو فالصبر الذى التزم موسى به ، هو عن شىء فى المستقبل ، وهل يستطيع موسى الوفاء بهذا الشرط الذى قطعه على نفسه ؟!

لكنه يؤكد التزامه، ويقول: « إن شاء الله » ذاكرًا مشيئة الله

العليا، أن يعينه على الوفاء بشرطه الذى قطعه على نفسه بالصبر.

وكأنى به يقول : سوف أحاول التغلب على ما فى طبيعتى من الثورة على أى شىء يقع أمامى ، لا أراه صوابًا .

سوف أكون مطيعًا لك بإذن الله ، ولن أعصاك مهما بدر منك من أفعال غريبة ، كانت أو مألوفة .

فأنا ما جئت إلا لطلب العلم، وما تحملت من مشقة السفر يحتم علىّ أن أكون سامعًا مطيعًا، لمن أمرنى ربى باتباعه والتعلم منه.

وهكذا ينبغى على كل طالب علم أن يكون سامعًا مطيعًا لمعلمه ، فى كل ما يأمره به ، ما لم يأمره بمعصية ؛ ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) ﴾

أى وغير عاص لك أمرًا تأمرنى به ، وقيد بالمشيئة؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين . (تفسير الجلالين) .

وقال القرطبى فى نفس الآية: أى سأصبر بمشيئة الله، ولا أعصى لك أمرًا، أى قد ألزمت نفسى طاعتك. . وقد اختلف فى الاستثناء، هل هو يشمل قوله: **﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** أم لا؟فقيل: يشمله كقوله: **﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾** [الاحزاب: ٣٥]، وقيل: استثنى فى الصبر فصبر، وما استثنى فى قوله: **﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾** فاعترض وسأل .

الخضر يؤكد شرطه على موسى عليه السلام

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)﴾

الخضرْ قَالَ لهُ : فـهـيّا كنْ مَعى كـالتـابعين ٢٩
مـهمـا فَعَلتُ مِن الغـريب فـلا تكن فى المنكرين ٣٠
فـاصْبِرْ علـى مَا قـد تَراهُ تَفُزْ بِعلم العـارفين ٣١
لا تعـترض إذ مـا رأيت الفعل مما قـد يشين ٣٢
هَذَا لَه عِندى مِنَ التـأويل يُرضى المسـتبين ٣٣

وهكذا نرى الخضر يؤكد شرطه على موسى عليه السلام بقوله :
﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)﴾

لقد شرط عليه قبل أن يبدأ الرحلة ، ألا يسأله ولا يستفسر عن شىء من تصرفاته، حتى يكشف له هو سرها .. فقبل موسى شرطه ، رعاية لأدب المتعلم مع العالم . والمعنى ، لا تسألنى عن شىء مما أفعله حتى أبينه لك بنفسى .

تساؤل هام :

أرى هذه الآية صُدِّرت بـ-إن-الشرطية..فالخضر يقول لموسى:
﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ بأسلوب التخيير، فى حين نرى موسى ألقى

عنان القياد للخضر، وأكد له أنه جاء إليه ليتعلم منه ، ولم يكن مجيئه من تلقاء نفسه، بل كان بأمر من الله عز وجل .

ولذلك، فمنذ أن التقيا موسى والخضر قال له موسى بأسلوب الرجاء والملاطفة : ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾. من ثم كنت أتصور أن الخضر يقول لموسى بعد أن رآه راضيا عن شرطه ـ الذى اشترطه عليه لمصاحبته ـ أن يقول له: هيا فاتبعنى ولا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه .

ملحوظة: لقد بحثت فى معظم التفاسير ، قديمها وحديثها ، عن هذه الملاحظة لعلى أعثر على ضالتى تلك ، فلم أجد .. ولست أدرى ، هل إبدائى هذه الملاحظة صواب أم خطأ ؟! فإن كانت صوابًا ، فلم أهملها المفسرون جميعهم ؟! أم أنها خطأ وهى تعتبر تطاولاً على النظم القرآنى ؟!

إن كان هذا كذا ، فإننى أبادر فأقول: إننى بحمد الله مؤمن، وأعلم أن هذا القرآن هو كلام الله عز وجل ، وهو المتحدى بتلاوته، وقد تحدى الله به الثقلين على أن يأتوا بمثله فعجزوا .

على كل حال ، لقد أردت أن أثبت هذه الملاحظة ، لعل أحدًا يأتى فيما بعد ، فيحوم حولها ويقتحم معناها ، ويسبر غورها ، ويكشف غامضها .. وصدق الشاعر العربى حين قال:

أنت العليم وكلنا لا نعلم   وفصيحنا فى بعض قولك أبكم

بداية الرحلة الخالدة

....

مُوسَى ومَعَه غُلامُه والخِضْرُ سَارُوا أجمعين ٣٤
فى رحْلة قَدْ سُجْلت فى محكم الذكر المبين ٣٥
مع سَاحِلِ البَحْرِ استَمروا فى طريق الراحلين ٣٦
هم يبتغون سفينة كى يركبوها مبحرين ٣٧
إحدى السّفائن أقبلت قدْ أحْسنَت للناظرين ٣٨

لقد انتهى الحوار العجيب ، بين رجلين يعتبران من أشهر رجالات التاريخ البشرى، وذلك لشهرة وغرابة القصة التى نشأت وتكونت من لقائهما الخالد ببعضهما .

لقد كان الحوار بين الاثنين ، حوارًا عجيبًا ، ذلك لأنه كان يدور حول أحداث وأمور لما تقع بعد .

لقد صارت هذه القصة ، من أكثر قصص القرآن الكريم تداولاً على ألسنة الناس ، علمائهم وسوقتهم معًا ؛ ذلك لأن أحداثها ليست مألوفة ، بل هى مما يعجب الناس .. ولا غرو

فالناس شغوفون بكل غريب . . وهل هناك غرابة أكثر من رجل يركب سفينة، أكرمه أهلوها فلم يأخذوا منه أجرًا ، فيخرقها ؟! ويرى غلامًا حديث السن يلعب ويلهو بين أترابه ، فيقتله ؟!

هذه القصة من أعجب القصص لسببين اثنين :

أحدهما : أنهـا قصة عـصمـاء ، لم تتكرر فى سور الـقرآن الكريم ، فهى لم تذكر إلا مرة واحدة فى سورة الكهف فقط .

الثانى : لأن أحداثها فيها من الغرابـة ما لا يصبر عليها إذا ما رآها ذو عقل ودين .

لقد انتهى الحوار الفـريد بين الرجلين : موسى والخضر . . لقد وافق موسى على الشروط التى اشترطها عليه الخضر وهى: على موسى أن يسمع ويرى ولا يسـأل ولا يعترض . . فمن ثم سار الجمـيع لتبدأ أحداث القصة الخـالدة ، ساروا على ساحل البحر ليركبوا إحدى السفن .

وبينما هم يسيرون على سـاحل البحر ، إذ لاحت لهم على البعد سفينة ، ناشرة شراعها ، والريح تدفعها ، فأشاروا إليها ، فاتجـهت مقبلة نحـوهم . فى تلك السفـينة بدأت أولى أحداث تلك القصة . . لقد كانت السفينة حسنة المظهر ، كأنها لم تعمل طويلاً فى البحر ، هكذا يبدو مظهرها .

....

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾

أهلُ السّفينةِ إنّهم للخضر كانوا عارفين ٣٩
قد أركَبُوه وصاحبَيه بكل حُبّ مُكرمين ٤٠
هذه السّفينَة أبْحَرَتْ لكن بكل الراكبين ٤١
الخضر فى ركن السفينة جالسًا كالآخرين ٤٢
خرَق السفينة عامدًا لم يخْش لوم اللائمين ٤٣

كما أسلفنا ،فإن الخضر وموسى وفتاه رأوا سفينة فى عرض البحر ، فأشاروا إليها، فأقبلت نحوهم .

لقد تبين أن أصحاب السفينة،كانوا عارفين الخضر،ويبدو أنه كان معروفًا لأهل ذاك المكان، لا سيما الرجال العاملون فى البحر منهم ، فلما رأوا الخضر ، رحّبوا به وقالوا له : هلم ، تفضل أنت وصحبك الذين نراهم معك ، هيا اركبوا معنا ، ولسوف نحملكم على الحب والكرامة ، وسوف نوصلكم بإذن الله إلى المكان الذى تريدونه . . ولن نتقاضى منكم أجرًا .

لقد ركب الخضر وموسى وفتاه فى السفينة.. وقد مخرت بهم السفينة، تشق عباب البحر بين الأمواج، الأمواج تشبه الجبال حينما تعلو، وتشبه شعاب الوديان حينما تهبط.. تعلو تارة وتهبط أخرى.

لقد انزوى الخضر فى أحد أركان السفينة ، وكان موسى لا يكف عن ترديد النظر إليه يرصد حركاته ولفتاته ، ولم لا ؟! فهو ما جاء هذه الرحلة التى بسببها ترك وراءه كل شىء من أعمال نبوته ، وتكاليف رسالته إلا ليتعلم منه .

يالله! موسى عليه السلام يرى ما أدهشه وأثار عجبه وغضبه فى آن واحد، ماذا رأى ؟! إن الذى رآه لا يمكن أن يصدر عن إنسان عاقل.. لقد رأى الخضر يمسك آلة حادة ويعمد إلى لوح فى السفينة فينتزعه.. لقد فعل الخضر هذا حقيقة وموسى ينظر إليه.

قال القرطبى: ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** ﴾ قيل: لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى، وكان عبدًا لا تراه إلا عين من أراد الله له أن يراه، ولو رآه القوم لمنعوه من خرق السفينة، وقيل: خرج أهل السفينة إلى جزيرة وتخلف الخضر فخرق السفينة.

قال ابن عباس: لما خرق الخضر السفينة . تنحى موسى ناحية وقال فى نفسه: ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل؟! كنت فى بنى إسرائيل، أتلو عليهم كتاب الله، فيطيعوننى، قال له الخضر: أتريد يا موسى أن أخبرك بما حدثت به نفسك؟! قال: نعم، قال: كذا وكذا ، قال : صدقت .

أول مخالفة لموسى عليه السلام

﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾

مُوسَى رَآه فَقَال مَا هَذَا بِفعْل الشــــاكريـن ٤٤
أخَرقـتـهـا يَاصَاح هل هَذَا جزَاءُ المحـسنين ؟! ٤٥
قَد أركـــبُونـا دُونَ أجْر لـم يكـونُوا بَاخلين ٤٦
إذ ينبـغـى شكرانهـم أوْ قَد غـدونـا جَاحدين ٤٧
إن السّفـينة سَوفَ تغـرق والرجـال المـالكين ٤٨
تالـله هذا الفعْل تنـكره عـقـول الفـاهمين ٤٩

حينما رأى موسى عليه السلام ،ما رآه من فعل الخضر الغريب.. ذلك الفعل الذى لا يقره عقل ولا عرف ولا شرع ، لم يدر بخلده أن هذا يعتبر داخلاً ضمن الشروط التى أخذت عليه ، بألا يعترض ولا يسأل .. وما عليه إلا أن يرى ويسمع فقط .

بيد أن موسى فى تلك اللحظة التى رأى صاحبه الخضر فيها، يخرق السفينة ، نسى الشروط التى ارتضاها ، بألا يعترض ولا يسأل، مهما رأى من غريب الأفعال .. فانهال يمطر الخضر

بوابل من اللوم العنيف، بحدة فى طبع موسى عُرف بها ، ثم قال له :

﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ .

واضح من أسلوب موسى عليه السلام أنه يبدى الشفقة على أصحاب السفينة، فقال: لتغرق أهلها، ولم يقل لتغرقنا جميعًا، وهو فى الوقت نفسه يرى لأصحاب السفينة حقًا، لكونهم أسدوا إليهم معروفًا، فحملوهم بغير أجر، ومع أدنى المفاهيم ، ينبغى مكافأة المعروف بمثله على الأقل. . وماداموا لم يستطيعوا مكافأة المعروف بمثله ولا أكثر ولا أقل منه، إذن وجب عليهم الحرص على السفينة التى أقلتهم، فلا يحدثون بها ضررًا، فليس هذا من أساليب العرفان بالجميل .

فمن قول موسى للخضر مثلاً : قوم أركبونا بغير أجر ، أهذا جزاؤهم ؟! لقد أحسنوا إلينا ، فواجبنا أن نكافئ الإحسان بمثله، فإن لم نستطع، فينبغى أن نشكرهم، أما أن نقابل الإحسان بالإساءة ، فذلك يعتبر جحودًا ، وليس ذلك من الأخلاق فى شىء ، ومن ثم فإننى أمقته ولا أرضاه .

ولعمر الله، إن الذى فعلته فى السفينة، لو عرض على أى إنسان أوتى مسكة من عقل، فلن يقره، بل سوف يذمه ويذم فاعله .

....

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ﴾

الخضْر ينـظرُ نـحـــــوَ مُوسَى نَظرةَ المتلـوِّمين ٥٠
مـن ثَم ذكَّره بِشَرْط أبْرَمَاه كـــــمـــــرتـضين ٥١
أن لا سُؤَالَ ولا اعتِراضَ ولو رأى مـا قـد يُشين ٥٢
لا ينبـــثَنّ ببِنْتِ شــفَةٍ كـــالشـــروطِ المبْرمين ٥٣

كما أسلفنا ، فإن موسى عليه السلام ، انبرى يعنف الخـضر على فعلته التى اعـتبرها موسى مكافأة الحسنة بالسـيئة ، وذلك أيضا فى رأيه نكران وجحـود للجميل . . فـهل من العقل فى شىء مكافأة أصحاب الـسفينة على ما قدموه من الاحـترام والإحسان للخضر وصاحبيه : موسى عليه السلام ، وفتـاه يوشع بن نون ، إذ أركبوهم بغيـر أجر وقالوا لهم : سوف نوصلكم إلى أى مكان تريدونه ، هــل يكـون جزاؤهم على هذا ، خرق سفينتهم ؟!

لقد انتـهى موسى من ثورته العنيفة ، وكـان الخضر مصـغيًا لكل ما تفوه به موسى من لوم .

عند ذلك، نظر الخضر إلى موسى ، نظرة فيها من المعانى ، مـا يفـوق النطق باللسـان . . أى أن الخـضر بـنظرته تلك إلى موسى ، رد اللوم على موسى ، أى بدلاً من كـون موسى كان لائمًا ،صار ملـومًا . .ذلك لأن موسى عليه السلام،كان قـد التزم ألا يعـترض على أى شىء يراه من فـعل أو قول ، ثم إنه خـالف الشروط ، فكان أهلاً للوم .

ثم اتبع الخضر النظرة بالعبارة فقال لموسى :

﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ .

قال ابن كثير فى تفسيره :« يعنى وهذا الصنيع فعلته قصدًا، وهو من الأمور التى اشترطت معك ألا تنكر علىّ فيها ؛ لأنك لم تحط بها خبرًا،ولها داخل هو مصلحة ،ولم تعلمه أنت » .

قال الصابونى فى صفوة التفاسير : « ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أى لم أخبـرك من أول الأمـر ، أنك لا تصـبر على مـا ترى من صنيـعى ؟! ذكّره بلطف فى مخـالفتـه الشرط » .

....

﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾

مُوسَى يَقُولُ لـه فَعُذْرًا إنّنى فـى الآسفِين ٥٤
إنى نسيتُ فَلا تؤاخـذنى بِذنب العـامـدين ٥٥
ولسَوف أصْبرُ بَعْد هَذَا شيـمـةَ المتـجلـدين ٥٦

لقد تذكر موسى عليه السلام ، الشرط الذى ارتضاه ، وهو أن يرافق الخضر فى رحلته ، وما عليه - إذا أراد أن يتعلم - أن يرى ويسمع ، ولايعترض ، بل لاينبث ببنت شفة ، مهما رأى من غريب الأفعال ، فمن ثم بادر معتذرًا : ﴿ **قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾** ﴾ .

وهكذا يعتذر موسى عن لومه ، واحتداده ، فى أسلوب عنيف للخضر ، ويؤكد له أنه قال ما قاله ناسيًا ، ومن ثم فلا مؤاخذة على النسيان . . ولو أننى كنت ذاكرًا للشرط الذى اشترطناه معًا ، ما قلت كلمة واحدة مما قلته آنفًا . إذا فأنا كنت ناسيًا ، ولم أكن عامدًا .

قال ابن كثير في تفسيره : ﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أى لا تضيق ولا تشدد علىّ ، ولذلك ورد فى الحديث الشريف ، قول محمد ﷺ : « كانت الأولى من موسى نسيانًا » .

قال البيضاوى فى تفسيره : «﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي﴾ بالذى نسيته، أو بشىء نسيته، يعنى: وصيته بألا يعترض عليه، أو بنسيانى إياها، وهو اعتذار بالنسيان، أخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة، مع قيام المانع لها، وقيل: أراد بالنسيان: الترك، أى: لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة، وقيل: إنه من معاريض الكلام، والمراد شىء آخر نسيه ﴿ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ولا تُغشنى عسرًا من أمرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى، فإن ذلك يعسّر على متابعتك» .

قال الصابونى فى صفوة التفاسير : ﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ أى لا تؤاخذنى بمخالفتى الشرط ، ونسيانى العهد ﴿ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أى لا تكلفنى مشقة فى صحبتى إياك ، وعاملنى باليسر لا بالعسر .

فى تفسير الجلالين : « ﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ أى غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ » تكلفنى مشقة فى صحبتى إياك ، أى عاملنى فيها بالعفو واليسر .

الحلقة الثالثة

أشعار الحلقة الثالثة

أبْدَى الكَلِيمُ تـأسُّفًا للخـــضْر فى قــول مـــبين ١
من ثم ســـاروا نحــو رِحْلَتِهم مَســارَ الـسّائحين ٢
وصلوا إلى إحْدى الـقُرى وجـدوا أناسًا قــاطنين ٣
أطفـالهم فى لـهـوهم ، كـانوا جـمـيـعًا لاعـبين ٤
فـيـــهم غـــلامٌ كــان ذا حُسْنٍ ووضّاء الجــبين ٥
الخِضْر بالـسكـين مـــزّقَه أمـــام النـاظريـن ٦
مـوسى يطيـر صـوابـه من فِعْل صـاحبـه المشين ٧
فـــورًا يقـــول لـه : أســـأت بقَتْل طفـل لا يُبين ٨
أقــتلـتـــه من غـــيـــر ذنبٍ ، ذاك فِعْل الـظالمين ٩
قتْلُ النفـوس جريمة فـيهـا القصاص علـى اليقين ١٠
الخَضـر يسـمع لوم موسى فـيـه عنف الزاجـرين ١١
فـورًا أجـاب على مـلامـتــه بأسلوب مـبين ١٢
أفلم أقُل لك لـن تُطيق الصبـــر كـالمتعـــجلين ١٣
مـوسـى تذكـر شـــرطه ، أنعم بشـــرط المؤمنين ١٤
من ثَم أبدى الـعـــذر مما قـــاله كـالآســـفين ١٥

بل قـال أيضـا بعـدهـا وأضـاف شـرط الواثقين ١٦
من بعـــد هذا إن سـألـتك فلنكن مـــتـفـــارقين ١٧
لا أسـألنّك لـو أتيت من الفـعـــال المغـربين [(١)] ١٨
قـد واصل الخضـر المسـير عـلى طريق الراحلين ١٩
مـوسى يرافـقـه ليـعـرف للحـقـيـقـة واليـقين ٢٠
ويحـاول الإمـسـاك عن سـؤال وعن لوم مـهين ٢١
فلقـــد أخل بشــرطه حـــتى غـدا فـى النادمين ٢٢
وصلوا إلى إحـدى القرى فى أهلها بـخل مشين ٢٣
تلْكَ المـدينـةُ أهْلُهــــــا للْجُود لَيْسُوا فَاعلـين ٢٤
بالبُخـل قـــد وُصِفُوا وذاك بمنطق الـذكـــر المبين ٢٥
الخضـــر مع مُوسى وصَاحبـــه غَدَوا فى الجَائعين ٢٦
الجـــوع أرغـــمَهُم على أن يَسْألوا عــن مُطعمين ٢٧
أهلُ المـدينـة كلـهم لـم يستَجيــــبُوا الـطّالبين ٢٨
تلك المـدينة كـــان فيـــهــا نَسْل قـــوم صَالحين ٢٩
فـيـهـا جـدارٌ كـاد أن ينقـضَّ من عـمل السنين ٣٠
الخـــضــــر يـنظر للـجـــدار بنَظْرة المتـــفَحّصين ٣١
فى فـكره شىءٌ ولا يـدريه مـــــوسى عن يـقين ٣٢

(١) أى : الأفعال المستغربة الغير مألوفة .

بل قَامَ يَعْملُ فى الجــدارِ بهــمــة كــالعــاملين ٣٣
وإذَا الجـــــدارُ يَراهُ مُوسَى قَائـمًا للـنـاظريـن ٣٤
مـوسى يقـولُ مـخــاطبًا للخضْر مِنْ غَيْظ دفين ٣٥
تبنـى الجــدار إلى لئــام من شـــرار الـعـــالمين ٣٦
لو شـــئت نلتَ الأجْرَ عَمّا قَدْ فَعَلْـتَ لمجْرمين ٣٧
الخضْر يـنـظُرُ نَحْوَ مُوسـى نـظــرةَ المـتـلَومـين ٣٨
ويَقُولُ : تلـك نهـــايـةٌ للـقَائنا فـى العَالمـين ٣٩
لكن سـأُنبيك الحـقـيـقـة عن فعـالى السـابقين ٤٠
كى تَعْلَمنَّ بَواطَن الأفــعـــال بالقـــول الأمين ٤١
أمــــا السَّفِيـنةُ يَا صَدِيقـى فَاعْلم الـعِلْم اليَقِين ٤٢
أصـحـابُهـا قـوم من الفـقـراء والمسـتـضـعـفين ٤٣
هم يعــملون على ســفـيـنـتـهم وكـــانوا آمنين ٤٤
ومـليـكـهم بـالـظّلم يـأخُذُ غَاصبًا كـل السّفـين ٤٥
فـــأعَبْتُهـــا كى لا تـروق لأعْينِ الوغْد اللـعين ٤٦
أمّا الغُلامُ فـــإنّه قـــد كَانَ ضِمنَ الـكافـــرين ٤٧
أبَواه كـــانا مُؤمنَيْن ، ومن خـــيـــار المؤمـنين ٤٨
لكن لحــبـــهـــمـــا له حبًا يَفُوقُ الـواصــفين ٤٩
نخـشى يُصيـبَهُمـا بـذاك الحبّ مِنْ كـفرٍ مـشين ٥٠

للوالدَيْن لـقَدْ أرَدْنا الخَيْر فعـل الـعـــــارفـين ٥١
يُعْطيـــهُمـــا ربّ السّمـــاء مكانَه هذا يـقين ٥٢
يعطـيـهـــمــا ولدًا يـكون له فعــالُ المحـــسنين ٥٣
هـاتـيــك رحْمَةُ ربّنـا بـالمـؤمنــين الـصّالحـين ٥٤
أمّا الجــــدارُ فـــفى المـدينة مِلْكُ أحَد المؤمـنين ٥٥
قــــد آل بَعْد مَمَاته لبنيـــه دُون الآخــــرين ٥٦
وبنوه كـــانُوا اثنَيْن كـانَا فـى عِدَاد القـاصـــرين ٥٧
باليُتْم قـــد وصـــفَا وذاك بمنطق الذكــــر المبين ٥٨
تحت الجــــدار هنـاك كَنْزٌ للـصّغـــارِ الـوَارِثين ٥٩
فـأبوهمـــا أخـفـاه عن كلّ العُيـــون الراصـدين ٦٠
ربّ السّمـــــاء أرَادَ للاثنـين عَيْشَ الموســـرِيْن ٦١
أن يَبْلُغَا وليـــصـبـــحـا رَجُلَيْن كن فـى الموقنين ٦٢
مِن بَعْدِ ذَا فليــخـــرجـــا للكنْزِ فعْل الحـــازمين ٦٣
هذا لعـــمـــرى رحــمـــــةٌ من ربنا هـذا يقين ٦٤
مـا قـد فَعَلتُ أمـَام عـينك مـن فـعـالى المغْربين ٦٥
كـــانت بأمــــر الله حـــقًا ، نعم رب العــالَمين ٦٦
مـا لم تطـق صَبْرًا عليـه وتبـتـغى أن تـسـتـبين ٦٧
أوضَحتُه لك فــاسْتَرحْ من رغبـــة المتســـائلين ٦٨

الخضر يقتل غلامًا

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَه ... ﴾

أبَدى الكـليمُ تـأسُّفًا للخـضـر فـى قَوْلٍ مُبين ١
مِن ثَم سَارُوا نَحْوَ رحْلـتـهم مَسَار السّائحين ٢
وصَلُوا إلى إحْدَى الـقُرى وَجَدُوا أناسًا قـاطـنين ٣
أطفـالهُم فى لَهْوهـم كـانـوا جـمـيـعًا لاعِبين ٤
فـيـهم غـلام كـان ذا حُسْنٍ ووضـاءَ الجـبين ٥
الخضـر بالسكين مـزقـه أمـام الناظـرين ٦

كما أسلفنا، فإن موسى عليه السلام، اعتذر وأبدى أسفه للخضر عن خطئه، وقد قبِلَ الخضر اعـتذاره وتأسفه؛ ذلك لأنه يعلم الصدق فى قوله، بل كان يعلم هذا قبل وقوعه، بدليل أنه قال له حينما طلب منه أن يسمح له بمصاحبته، ليتعلم منه فى أول اللقاء: **﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾** وأسـدل الستـار على تلك الواقعـة ، ثم انطلقوا؛ موسى وفتاه وقائد الرحلة: الخضر ، ميممين إلى حيث يريد الخضر .. أما موسى فهـو لايدرى أين يريد الخضر ، فما عليه إلاَّ أن يسير تابعًا، وليس له أن يسأل أو يعـترض، مهما رأى

من غريب الأفعال، تنفيذًا للشرط الذى اشترطه عليه الخضر ورضيه هو .

وصلوا إلى قرية فى طريق رحلتهم ، فوجدوا غلمان أهل تلك القرية الصغار يلعبون ، وكان بينهم غلام وسيم ، فيه جمال ووضاءة ، هو أحسنهم ، سبحان من صوره فأحسن صورته !!

ودون أن يشعر أحد ، تقدم الخضر نحو الغلمان الذين يلعبون ، ويمم صوب الغلام الوضىء ، الجميل الصورة ، فأخذه بقوة وعنف ، كأخذ الشرطى للمجرم ، فصرعه حيث طرحه أرضًا ، وفى سرعة البرق مزقه بالسكين، ثم قطع رأسه وفصله عن جسده .

يالله !! موسى يرى بعينيه أغرب منظر وأبشعه فى حياته ، لقد أصابه ذهول من هول وبشاعة ما رأى ، ولم لا ، فها هو ذا يرى بعينيه ، لا حلمًا ولا خيالاً ، بل حقيقة واقعة . . يرى صاحبه يقتل غلامًا ، دون أن يرتكب ذلك الغلام ذنبًا .

لا غرو أن موسى لم يكن يدور بخلده ، أن هذا العمل المفظع الذى عمله الخضر ، داخل تحت الشروط التى اشترطها عليه الخضر . . وهو بلا شك فوق كل احتمال .

موسى عليه السلام ينسى ويخطئ مرة ثانية

﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) ﴾

مُوسَى يَطِيــر صَوابُه مِن فِعْل صـاحـبــه المشين ٧
فـــورًا يـقـــول لـه : أسأت بِقَتْل طفل لا يـبين ٨
أقـــتـلتـــه مـــن غَيــرِ ذَنب ؟! ذاك فِعْل الـظالمين ٩
قَتْلُ النفُوسِ جَرِيمَةٌ فـيهـا القـصاص على اليـقين ١٠

لما أفاق موسى عليه السلام ، من الذهول الذى عراه ، من بشاعة وهول المنظر الذى رآه بعينى رأسه ،حقيقة لا منامًا ولا خيالاً ، ومع ذلك يوشك أن ينفـجر مـن شدة الغـضب ، ومن ثم فلم يتمالك نفسـه ، فهتف فى وجه صاحبه الخـضر ، بصوت عال فقال له : ما هذا يا رجل ؟!

لقد أسأت وما أحسنت ، أتقتل غلامًا صغيرًا بريئًا ، دون أن يرتكب جريمة ، ودون أن تعرفه ، أو حتى تعرف اسمه ؟!

هذا لعمر اللـه يعتبر ظلمًا بينًا ، ما بعـده ظلم .. لقد خلق الله النفس الإنسانية ، فجعلها مـحترمة ، ولا يجوز قتل النفس

إلا قصاصًا أو حدًا . وأنت بهذا الفعل ، قد ارتكبت جريمة قتل عمدًا ، والقتل عقوبته عند الله القتل قصاصًا .

قال القرطبى فى تفسيره : ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ** ﴾ لم تعمل بالحنث - أى لم تبلغ الحلم - وفى الصحيحين وصحيح الترمذى : « ثم خرجا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل ، إذا أبصر الخضر غلامًا ، يلعب مع الغلمان ، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله » .

قيل : لما قتل الخضر الغلام ،لم يره إلا موسى ، ولو رآه الناس لحالوا بينه وبين الغلام .. أى إن الله أخفى الخضر عن أعين الناس حينما قتل الغلام .

وفى كتاب العرائس ، أن موسى لما قال للخضر : ﴿ **أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً** ﴾ غضب الخضر ، واقتلع كتف الصبى الأيسر ، وقشر اللحم عنه ،وإذا فى عظم كتفه مكتوب : كافر لا يؤمن بالله أبداً .

وقيل : إن هذا الغلام كان يفسد فى الأرض ، ويقسم لأبويه أنه ما فعل ، فيقسم أبواه بالله على قسمه ، ويحميانه ممن يطلبه .

الخضر يذكر موسى بشرطه الأول

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) ﴾

الخَضْرُ يَسْمَعُ لَوْمَ مُوسى فِيــه عُنْف الـزّاجــرين ١١
فـــــــورًا أجَابَ عَلـى مَلامَته بـأسْلُوب مُبين ١٢
أفَلَمْ أقُل لَكَ لنْ تُطِيـقَ الصَّبْر كــالـمـتَعـــجّلين ١٣

بعـد أن انتهى مـوسى عليه السلام ، من كـلامـه اللائم الثـائر ، المعنف للخـضر ، وذلك بعـد أن رأى بعـينى رأسه ، أنه قـتل غلامًا بريئًا ، دون أن يرتكب ذنبًا يوجب معاقبته ، بقسوة فوق كل وصف . . لدرجة أنه لم يكن يعـرف هذا الغلام من قبل ، ولا يعرف ابن من هو .

فهـو ـ أى الخضـر ـ لأول مرة يرى هذا الغـلام ، ومنذ أن وقع بصره عليه ، انقض عليه كالصـاعقة . . فمزقه إربًا إربًا ، وكان ذلك جهرًا ، وفى وضح النهار .

نظر الخـضـر إلى مـوسى نظـرة أودعـهـا كل المعـانى التى يريدها،ثم اتبع النظرة بالقول ، فقال له بكل هدوء :

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ .

لم يزد الخضر على أن أكد لموسى التذكير بالشرط الأول. حينئذ تنبه موسى لخطئه، من ثم شعر بالأسف الشديد ، لكونه أخطأ مرة ثانية . . فماذا يصنع ؟!

لقد اعتـذر عن الخطأ فى المرة الأولى بقوله : **﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾** ووعد ألا يعود إلى الاعتراض أو السؤال .

وها هو ذا لم يف بوعده ، فوقع فى الخطأ مرة ثانية .

فماذا يصنع ؟!

إنه فى موقف يشعر فيه بضـآلته أمام نفسه أولاً ، ثم بالحرج الشديد والذمامة ـ الحياء ـ أمام صاحبه ثانياً .

....

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾

مــــــوسَى تَذكّر شَرْطَه أنعِم بـشَرْط المؤمِنـين ١٤
مِنّ ثَم أبْدى العُذر مِمّا قـــالـه كـــالآســـفين ١٥
بَل قـــالَ أيـضًا بَعْدَها وأضَافَ شَرْط الـوَاثِقين ١٦
من بَعـــد هَذا إن سـألتُك فـلنكن مــتـفــارقين ١٧
لا أســـــألنّك لـو أتيـت من الـفِعَال المغْرِبـين ١٨

كما قـدمنا ، فإن موسى عليه السلام ، لما شعـر بالحرج ، وذكّره صاحبه الخضر ، بشرطه الأول ، أى حينما طلب منه أن يسمح له بمصاحبته ، ليتعلم منه ، قال له :

﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .... ﴾ إلى أن قال: **﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾** .

فمن ثم هتف موسى قائلاً :

﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ .

لم يجد موسى قـولاً بقوله للخضر ، ليخـرج نفسه من هذا الموقف أبلغ وأوثق من هذا الذى قطعه على نفسه .

لذلك قـال رسـول الله ﷺ : « رحـمـة الله عـلينا وعلى مـوسى ، لولا أنه عـجّل لرأى العـجـب ، ولكنه أخـذته من صاحبه ذمامة [1] ولو صبر لرأى العجب » . رواه مسلم .

قال ابن كثيـر فى تفسيره : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيـعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فأكد أيضًا فى التذكـار بالشرط الأول ، فلهذا قـال له موسى : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ أى إن اعتـرضت عليك بشىء بعد هذه المرة . لقـد أعذرت إلىّ مرة بعد مرة .

وقال ﷺ : « يرحم الله موسى،لوددنا أنه صبر حتى يقص علينا من أمرهما »[2] .

---

(١) ذمامة : استحيا من تكرار مخالفته للشروط .

(٢) رواه البخارى .

....

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ... ﴾

قَد وَاصَل الخضِرُ المسيـــرَ على طريـق الرّاحِلين ١٩
مـوسى يرافـقـه ليـعـرف للحـقـيـقـة واليـقين ٢٠
ويحـاول الإمـســاك عن ســؤل وعن لوم مُهين ٢١
فلقـــد أخل بشـــرطه حـــتى غـدا فـى النادمين ٢٢
وصلوا إلى إحـدى القُرى فى أهلها بُخْل مـشين ٢٣

ها نحن أولاء لا نزال مع القـصة الغـريبة بأحداثـها ، ومع بطليها اللذين التقيا بأمر من الله عز وجل، أحدهما : كليم الله موسى بن عـمران،زعـيم أنبياء بنى إسـرائيل، ثانيهـما : رجل مجهول الهوية ، هل هو نبى أم هو ولى ؟ !

فإن كان نبيًا فقد أتى من غريب الأفعال ، ما لم يقل به شرع لنبى من قبل ، ولا يتوافق مع منطق العقل أيضًا .

وإن كان وليًا،فذاك الذى يحتاج العقل فى الحكم عليه،إلى وقفة تأمل وأناة،فى حين أن ليس للولى أن يفـعل شيئًا يصطدم

مع ظاهر الشرع الحنيف، وإلا وضع نفسه موضع المساءلة والمؤاخذة.

ولنعد إلى حديثنا عن موقف موسى مع صاحبه. .فلقد شعر موسى بالحرج ، بل ربما وجد نفسه لا يستحق شرف صحبة هذا الرجل ، هذا الرجل الذى أفقده السيطرة على صبره بغريب أفعاله ، من ثم أخذ على نفسه شرطًا أخيرًا فقال : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي ﴾ .

بعد أن استمع الخضر لحديث موسى ، وما اشترطه على نفسه بمحض إرادته، انطلق يواصل رحلته وموسى معه يرافقه، وكل همه أن يتعلم منه ، وكأنى بموسى آنذاك يقول لنفسه: لا أظن أن صاحبى هذا سيأتى من الأفعال الغريبة أكثر مما فعل قبلاً ، من ثم فسوف أكون أكثر صبرًا ، وسوف أمسك لسانى عن أى لفظ يكون فيه شبهة اعتراض أو تساؤل .

لأننى قد اشترطت على نفسى ،فى حالة الخطأ مرة ثالثة ، فسوف يكون الفراق . . وحينئذ تضيع منى الفرصة التى لا ولن تعوض،من حيث تحصيل غرائب العلم ، ذلك العلم الذى ليس من جنس العلوم التى أعلمها ، وأنا كليم الله !!

وبينما كان موسى فى حديثه مع نفسه ،أثناء السير نحو الجهة التى اختارها الخضر ، إذ أقبلوا على قرية،فدخلوها وساروا فى طرقاتها كأنهم يبحثون عن شىء ما،غير أن أهل القرية،لم يكونوا أهل جود وكرم ، بل كانوا بخلاء .

موسى عليه السلام والخضر فى قرية البخلاء
﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ... ﴾

تلك المدينة أهلها للجود ليسوا فاعلين ٢٤
بالبخل قد وصفوا وذاك بمنطق الذكر المبين ٢٥
الخضر مع موسى من الإرهاق صاروا جائعين ٢٦
الجوع أرغمهم على أن يسألوا عن مطعمين ٢٧
أهل المدينة كلهم لم يستجيبوا الطالبين ٢٨

فى هذه الآية ، دليل على سؤال القوت ، وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه ، خلافًا لجهال المتصوفة .

والاستطعام: سؤال الطعام ، والمراد به هنا : سؤال الضيافة، بدليل **﴿ فأبوا أن يضيفوهما ﴾** فاستحق أهل القرية أن يذموا وينسبوا إلى اللؤم والبخل ، كما وصفهم سيدنا رسول الله ﷺ بقوله : « لئام » عن أبيّ بن كعب عن النبى ﷺ أنه قال عند قوله تعالى : **﴿ حتى إذا أتيا أهل قرية ﴾** : « لئام » .

قال قتادة فى هذه الآية: شر القرى التى لا تضيف الضيف ،

ولا تعرف لابن السبيل حقه .

ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة .. وأن الخضر وموسى ، إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة،وهذا هو الأليق بحال الأنبياء ، ومنصب الفضلاء والأولياء .

ملحوظة : كان موسى عليه السلام ، حين سقى لبنتى شعيب ، أحوج منه حين أتى القرية مع الخضر - أى إلى الطعام - ولم يسأل قوتًا ، بل سقى ابتداء ، لكن الخضر وموسى ، سألا القوت فى القرية .

وفى ذلك للعلماء أقوال كثيرة منها : أن موسى كان فى حديث مدين منفردًا ، وفى قصة الخضر تبعًا لغيره .

وعلى هذا المعنى ، يتمشى قوله فى أول الرحلة لفتاه : **﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا﴾** فأصابه الجوع مراعاة لصاحبه يوشع بن نون .. والله أعلم .

الخضر يعيد بناء الجدار

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَه ... ﴾

تلك المـدينةُ كـان فـيـهـا نَسْلُ قـومٍ صَالحين ٢٩
فـيـهـا جدارٌ كـاد أن يَنـقضّ مِن عَمَل السِّنين ٣٠
الخضْر ينـظرُ للجـدَار بنـظرة المتـفـحّصين ٣١
فـى فـكره شـىءٌ ولا يَدْرِيـه مُوسـى عن يـقـين ٣٢
بل قَام يَعْمَلُ فـى الجدَار بِهِـمّة كَالـعـاملين ٣٣
وإذَا الجـدَارُ يَرَاهُ مُوسَى قـائمًا لـلنّاظـرين ٣٤

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَه ﴾ : قال القرطبى فى تفسيره : أى قرب أن يسقط ، وقد فسره فى الحديث بقوله - مائل - عن ابن أبى بكر بن الأنبارى ، فيما رواه عن ابن عباس (١) أن رسول الله ﷺ قرأ :

« فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد بينه » ،

(١) عن أبى بكر الصديق .

قال ابن الأنبارى : وهذا الحديث إن صح سنده ، فهو جار من الرسول عليه الصلاة والسلام ، مجرى التفسير للقرآن الكريم .

وقال سعيد بن جبير: مسحه بيده فأقامه فقام، وهذا القول هو الصحيح ، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بل والأولياء .

فى بعض الأخبار أن سمك ذلك الجدار ، كان ثلاثين ذراعًا بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض ، خمسمائة ذراع ، وعرضه خمسون ذراعاً ، فأقامه الخضر عليه السلام بيده ، فاستقام ، قال الثعلبى فى كتاب العرائس : خلاصة الأمر : أن الخضر تولى العمل فى إقامة الجدار بجدية ، سواء كان مائلاً فمسحه بيده فاستقام ، أو هدمه ثم أعاد بناءه .. هو فى الحالتين قد أقامه .. وقد كان هذا فى رأى موسى عملاً يستحق أن يأخذ الخضر عليه أجرًا ؛ نظرًا لأن أهل هذه القرية، قوم بخلاء لم يقوموا بواجب الضيافة .

موسى عليه السلام يخطئ مرة ثالثة

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) ﴾

مُوسى يقُولُ مـــخَاطِبًا للخضْر مِنْ غـــيْظ دَفِين ٣٥
تبْنـى الجـــدار إلـى لئـــام مـن شِرار العـــالمين ٣٦
لو شِئتَ نلتَ الأجـر عـمـا قد فـعلتَ لمجـرمين ٣٧

بعد أن انتهى الخضر من إقامة الجدار، عاد إلى مجلسه مع رفيقى رحلته؛ موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون، وقد كان موسى يكظم غيظه ، خلال المدة التى استغرقها الخضر فى إقامة الجدار .

لقد كـان موسى عليه السلام يتميـز من الغيظ ، من كون الخـضر يبنى جدارًا فى بلد لم يجـدوا فيها أحدًا ، فيـه نخوة الرجال ، ولم يقم أحـد فيـهـا بواجب الضيـافـة للغرباء ، وإن قـومًا لا يعرفون واجب الضيافة ، فهم بخلاء ، وإذن فهم لئام .

وقد كـان موسـى كلما هم أن يوجـه اللوم للخضـر ، على قيامه بهذا العمل الشاق الـذى تجشمه فى إقامة الجدار ، يمسك بعنان ثورته الجامحة ، ويحاول تخـفيف حدتها ، وأخيرًا غلب

عليه الفضول، فقرر أن يتكلم ، لكن بكلام هادئ ، لا ثورة فيه ولا تأنيب، وذلك بعد أن تراجع أكثر من مرة .. فماذا قال ؟!

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

وهكذا كان موسى يظن أن هذه الجملة التى قالها للخضر ، لا تنطوى على لوم أو أمر ، أو اعتراض ، وفى رأيه أنها لا تدخل تحت الشروط المبرمة بينه وبين الخضر .

لم يقل موسى له : أنت أخطأت لكونك عملت بغير أجر ، لقوم لا خير فيهم ، بل قال بأسلوب هادئ : ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

على كل حال، لقد اختلط الأمر على موسى عليه السلام، فقال ما قال، ولم يتنبه لخطورة قوله. . فهو فى رأيه ينصح الخضر، ولم يأمره.

لقد كان فى رأى موسى، أن الخضر قد أدى عملاً شاقًا، يستحق أن ينال عليه أجرًا ماديًا ، ليستعين به فى رحلته، المعروفة البداية، المجهولة النهاية، لا سيما وأنهم ثلاثتهم، ليس لديهم من المال ما يبتاعون به شيئًا، ولو كان لديهم شىء من المال، ما باتوا على الطوى، ولحاولوا شراء شىء يقتاتون به ، ليكسروا حدة الجوع .

الخضر يقرر فراق موسى عليه السلام

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴾

الخضـــر ينظر نحـــو مـــوسى نظرة المتلوّمين ٣٨
ويقـــول : تلك نـهـــاية للقـــائنا فـى العـــالمين ٣٩
لكن سـأنبـيك الحـقـيقـة عن فـعـالى السـابقين ٤٠
كى تعـلمنّ بواطن الأفـــعـــال بـالقـــول الأمين ٤١

ما أن نطـق موسى عليه السلام بالجملة الأخـيرة من قوله : ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

حتى نظر الخضر إليه نظرة أودعها كل معانى اللوم والمؤاخذة . . نظرة القاضى الذى يصدر حكمًا فيـه قسوة وعنف ، على متهم يستحق منه ذلك بيد أنه اكتفى بقوله : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ . . . ﴾ .

أى كفى يا موسى، هذه هى آخر الخطوات التى نمشـيها معًا، إلى هنا قد انتهت الرحلة . . وسـوف نفترق الآن، لكننى قبل أن نفترق ، سأفسر لك ما أثار فـضولك من أحداث ، كانت غريبة

عليك ، فأثارت استغرابك ودهشتـك، ولم تستطع صبرًا عليها، خلال رحلتنا القصيرة معًا .

إذ من الواجب علىّ ألا أتركك حـائرًا ، لا تعلم تفسـيرًا لما رأيته من غريب أفعـالى ، التى لم تألفها ، والتى لا تنسجم مع منطق العقل ، ولا مع حكم الشـرع الذى هو جوهر الرسالات السماوية كلها . . لا سيما وأنت ما جئت إلا للتزود من العلم .

من ثم فبعد أن أشرح لك ما خفى عنك من أسرار أفعالى، سوف تكون قد ازددت معرفة لما كنت تجهله، من علوم لم تكن فى دائرة معلوماتك، ولا أفكارك ولا تفكيرك . . وهى أيضـا ليست متاحة للتعلم، وليس لها من رواد يعلمونها، ولا طلاب يطلبونها .

قال البغوى فى تفسيره : ﴿ **هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾ يعنى : هذا وقت فـراق بينى وبينـك ، وقيل : هـذا الإنكار على ترك الأجر ، هو المفرق بيننا . . وفى بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوب الخضر فقال له: أخبرنى بمعنى ما عملت قبل أن تفارقنى .

وقال ابن كثير: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾أى لأنك شرطت عند قتل الغلام، أنك إن سألتنى عن شىء بعدها «فلا تصاحبنى» فهو فراق بينى وبينك .

أما البيضاوى فقال: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ﴾الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله: فلا تصـاحبنى، أو إلى الاعتراض الثالث، أو الوقت، أى هذا الاعتراض سبب فراقنا، أو هذا الوقت وقته .

الخضر يبدأ فى تفسير الأحداث

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) ﴾

أمـــا السَّفِينَةُ يَا صَدِيقى فـــاعْلم الـعِلْمَ اليَقين ٤٢
أصْحَابُهـــا قــومٌ مِنَ الفُقَراء والمســتـضـعــفين ٤٣
هُمْ يعـــملون على ســفـينتـــهم وكـــانوا آمنين ٤٤
ومليكـهم بالظلم يـأخـذ غـــاصبًا كل الســفين ٤٥
فـــأعبْتُهـــا كـى لا تروق لأعين الوغـــد الـلعين ٤٦

بعد أن اتخذ الخضر قراره بإنهاء الرحلة الخالدة، وإنهاء مصاحبة موسى له قال لموسى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾.

أى السفينة التى رأيتنى خرقتها، أول بدء الرحلة، هى لقوم ضعفاء مساكين، هى مصدر رزقهم، ورثوها عن أبيهم، ويعملون عليها فى البحر، ولا يملكون شيئًا غيرها، وكان ملك البلاد طاغية ظالمًا، يأخذ كل سفينة صالحة للعمل، يغتصبها ولا يعطى أهلها شيئًا تعويضا عنها . . لذلك أردت أن أعيبها، حتى إذا ما جاء أعوان

الملك لأخذها، وجدوها غير صالحة للعمل، فمن ثم يتركونها .

قال القرطبي في تفسيره: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ استدل بهذا من قال: إن المسكين أحسن حالاً من الفقير، وقيل: إنهم كانوا تجاراً، ولكن من حيث هم مسافرون - والخوف محيط بهم لكونهم فى لجة بحر - وبحال ضعف عن مدافعة خطب، عُبر عنهم بمساكين، إذ هم فى حالة يُشفق عليهم بسببها، وهذا كما تقول لرجل غنى، وقع فى وهلة أو خطب: مسكين، ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أى أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ .

قرأ ابن عباس وابن جبير «صحيحة» وفى رواية لابن عباس وعثمان بن عفان «صالحة» وكان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصبا، فلذلك عابها الخضر وخرقها، وفى هذا من الفقه، العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه.

قال البيضاوى فى تفسيره: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيئًا إذا لم يكفه وقيل: سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فإنها كانت لعشرة إخوة، خمسة منهم زمنى، وخمسة يعملون فى البحر ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ قدامهم أو خلفهم، يأخذها من أصحابها .

....

﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ⁽٨٠⁾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ⁽٨١⁾ ﴾

أمـا الغــلام فـإنه قــد كـان ضــمن الكـافـرين ٤٧
أبواه كـــانا مــؤمـنين ومن خـــيــار المؤمـنين ٤٨
لكن لحــبــهـــمـــا له حـبًا يـفـوق الواصــفين ٤٩
نخـشى يصيـبـهـمـا بذاك الحبّ من كـفرٍ مـشين ٥٠
للوالــدين لقــد أردنا الخــيــر فعْل الـعــارفين ٥١
يعطـيــهـــمـــا ربّ الســمــاء مكانه هـذا يقين ٥٢
يعطيـــهـــمـا ولدًا يـكون له فـعــال المحــسنين ٥٣
هاتـيك رحـــمــــة ربنـا بالمؤمـنين الصــالحين ٥٤

فسر القرطبي: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ جاء في الحديث الصحيح ، أنه طبع يوم طبع كافرًا ،وهذا يؤيد ظاهره أنه غـير بالغ ، ويحـتمل أن يكون خـبرًا عنه مع كـونه بالغًا.. ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ قيل : هو من كلام الخـضر

ﷺ ، وهو الذى يشهد له سياق الـكلام ، وهو قول كثير من المفسرين ، أى خفنا﴿ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ وكان اللـه قد أباح له الاجتهاد فى قتل النفوس على هذه الجهة ، وقيل : هو من كلام الله تعالى ، وعنه عبر الخضر .

قال القرطبى : معناه ، فعلمنا ؛ وكذا قال ابن عباس : أى فعلمنا ، و﴿ يُرْهِقَهُمَا﴾ يجشمهما ويكلفهمـا ، والمعنى : أن يلقيهما حبه فى اتباعه ، فيضلا ويتدينا بدينه .

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ أى يرزقهما الله ولدًا ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً ﴾ أى دينًا وصلاحًا . . يقال : بدّل وأبدل ، مثل مهل وأمهل ، ونزل وأنزل ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ قرأ ابن عباس﴿ رُحْمًا ﴾ بالضم ، قال الشاعر :

« وكيف بظلم جارية   ومنها اللين والرُّحُم »

والباقون بسكونها .

واختلف عن أبى عمرو . . و«رحْمـا» معطوف على «زكاة» أى رحمـة ؛ يقال : رحمه رحـمة ورُحما ؛ وألفـه للتأنيث ، ومذكره رُحم . . وقيل : إن الرُّحم هنا بمعنى الرحِم ، فسرها ابن عباس . « وأوصل رُحْما» أى رحـمًا ، . . وقرأ أيضا : «أزكى منه »

وعن ابن جـريج أن أم الغلام ، يوم قـتل كانت حـاملاً بغـلام مسلم ، وكان المقتول كافرًا .

ويستفاد من هذه الآية ، تهوين المصائب بفقد الأولاد، وإن كانوا قطعا من الأكباد، ومن سلم للقضاء ، أسفرت عاقبته عن اليد البيـضاء ،قال قتادة : لقـد فرح به أبواه حين ولد ،وحزنا عليه حين قتل، ولو بقى كان فيه هلاكهما ، فالواجب على كل امرئ الرضـا بقضاء الله،فإن قـضاء الله للمؤمن فيـما يكره ، خير له من قضائه له فيما يحب.

....

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ... ﴾

أمـــا الجدارُ ففى المـدينَة ملْكُ	أحَد المـؤْمنـين ٥٥
قــد آل بَعْد مماته لـبنيــه	دون الآخــرين ٥٦
وبنوه كـانوا اثنين كـانـا	فى عـداد القـاصـرين ٥٧
باليُتْم قــد وصِفــا	وذَاك بمَنْطِق الذكــر المبين ٥٨
تحت الجــدَار هناك كَنـزُ	للصــغـار الـوارثين ٥٩
فـأبوهمـا أخـفـاه	عن كـل العـيـون الراصـدين ٦٠

قال القرطبى فى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هذان الغلامان صغيران، بقرينة وصفهما باليتم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُتم بعد بلوغ» هذا هو الظاهر، وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ، إن كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما ، واليتم فى الناس من قبل فقد الأب، وفى غيرهم من الحيوان من قبل فقد الأم.. ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ

لَهُمَا﴾ اختلف الناس فى الكنز، فقال عكرمة وقتادة: كان مالا جسيمًا، وهو الظاهر من اسم الكنز، إذ هو فى اللغة: المالك المجموع.

وقال ابن عباس: كان علمًا فى صحف مدفونة، وعنه أيضًا: كان لوحًا من ذهب مكتوبًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن لها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وروى نحوه عكرمة، وعمر مولى غُفرة، ورواه عثمان بن عفان عن النبى ﷺ.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ظاهر اللفظ والسابق منه، أنه والدهما دنية - الأب الأقرب - وقيل: هوالأب السابع، قاله جعفر بن محمد الصادق، وهذا ما يدل على أن الله تعالى، يحفظ الصالح فى نفسه وفى ولده، وإن بعدوا عنه.. وقد روى أن الله تعالى يحفظ الصالح فى سبعة من ذريته. ا. هـ.

قال الفخر الرازى: المسألة الثالثة: وهى إقامة الجدار، فقد أجاب العالم - الخضر - عنها بأن الداعى له إليها، أنه كان تحت ذلك الجدار كنز، وكان ذلك ليتيمين فى المدينة، وكان أبوهما صالحا، ولما كان الجدار مشرفًا على السقوط، ولو سقط لضاع ذلك الكنز، فأراد الله إبقاء ذلك الكنز، على ذينك اليتيمين، رعاية لحقهما.

....

﴿ ... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾

رَبُّ السَّماءِ أَرَادَ لاثنين عَيْشَ الموسرين ٦١
أن يبلغا وليُصبحا رَجُلَيْن كن فى المُوقنين ٦٢
من بَعْد ذا فليُخرجَا للكنز فعْلَ الحَازمين ٦٣
هذى لعَمْرِى رَحْمَةٌ من ربنا هذا يقين ٦٤
ما قد فَعَلتُ أمام عينك من فعالى المغربين ٦٥
كانت بأمر الله حقًا ، نعم ربّ العَالَمين ٦٦
ما لم تطق صبرًا عليه وتبتغى أن تستبين ٦٧
أوضحته لك فاسترح من رغبة المتسائلين ٦٨

قال ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ .

ها هنا أسند الإرادة إلى الله تعالى؛ لأن بلوغ الحلم لا يقدر

عليه إلا الله تعالى، وقال فى الغلام : ﴿ **فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ** ﴾ وقال فى السفينة: ﴿ **فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا** ﴾ فالله أعلم .

وقوله: ﴿ **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ أى: هذا الذى فعلته فى هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا، من أصحاب السفينة، ووالدى الغلام ، وولدى الرجل الصالح ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ لكنى أمرت به ووقفت عليه .. وفيه دلالة على من قال بنبوة الخضر عليه السلام .

قال الفخر الرازى : فى الآية مسائل :

الأولى: اعلم أن هذه المسائل الثلاثة مشتركة فى شىء واحد، وهو أن أحكام الأنبياء صلوات الله عليهم، مبنية على الظواهر، كما قال ﷺ: « نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»، وهذا العالم - الخضر - ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور، بل كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة فى نفس الأمر.. وذلك لأن الظاهر يحرم التصرف فى أموال الناس، وفى أرواحهم ، فى المسألتين الأولى والثانية، من غير سبب ظاهر، يبيح ذلك التصرف؛ لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الإنسان من غير سبب ظاهر .. وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر .. والإقدام على إقامة ذلك الجدار المائل، فى المسألة الثالثة، تحمل التعب

والمشقة من غير سبب ظاهر، وفي هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم - الخضر - فيها مبنيًا على الأسباب الظاهرة المعلومة، بل كان ذلك الحكم مبنيًا على أسباب معتبرة فى نفس الأمر. وهذا يدل على أن ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عظيمة، قد ربها أن يشرف على بواطن الأمور، ويطلع بها على حقائق الأشياء، فكانت مرتبة موسى عليه السلام، فى معرفة الشرائع والأحكام، بناء على الأمر الظاهر، وهذا العالم كانت مرتبته، الوقوف على بواطن الأشياء، وحقائق الأمور، والاطلاع على أسرارها الكامنة [1] .

---

(١) ونحن نختلف مع الإمام فخر الرازى فى قوله : من أن ذلك العالم - الخضر - قد آتاه الله قوة عقلية ، قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ، ويطلع على حقائق الأشياء . . . إلخ ما قال .

أقول : ليس لكائن من كان من البشر ، مهما بلغ من رجاحة العقل ، أن يصل بعقله إلى علم ما فى الغد ، ولو أننا سمحنا بهذا المنطق ، لرأينا الكثيرين يدعون علم الغيب ، وبالتالى سوف يقولون : إنهم أفضل من الأنبياء ، استنادًا لهذا الزعم .

والواقع أن منطق الآية الكريمة ينفى ما زعمه الإمام الرازى ، فالآية تقول على لسان ذلك الرجل: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ إذن فهو مأمور وممن؟! إن الآمر هو الله عز وجل، لأن الأفعال التى فعلها تتعلق بأمور غيبية، والغيب لا يعلمه إلا الله فقط، أو ما يوحى به إلى أحد رسله لقوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن] وما دام الرجل مأمورًا ، فهو نبى ورسول بنص الآية ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن] .

فبهذا الطريق ظهر أن مرتبته فى العلم ، كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام .

إذا عرفت هذا فنقول: المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد، وهو أنه عند تعارض الضررين، يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى.

فهذا هو الأصل المعتبر فى المسائل الثلاثة .. أما المسألة الأولى ، فلأن ذلك العالم علم أنه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق ، لغصبها ذلك الملك ، وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية ، فوقع التعارض بين أن يخرقها ويعيبها ،فتبقى لملاكها، وبين ألا يخرقها فيغصبها الملك ، ولا شك أن الضرر الأول أقل ، فوجب تحمله لدفع الضرر الثانى .

أما المسألة الثانية: فكذلك لأن بقاء ذلك الغلام حيًا، كان مفسدة للوالدين فى دينهم ودنياهم .. ولعله علم بالوحى أن المضار الناشئة من قتل الغلام ، أقل من المضار الناشئة ، بسبب حصول تلك المفاسد للأبوين ، فلهذا أقدم على قتله .

أما المسألة الثالثة: كذلك، لأن المشقة الحاصلة بسبب الإقدام على إقامة ذلك الجدار، ضررها أقل من سقوطه ؛ لأنه لو سقط لضاع مال الأيتام ، وفيه ضرر شديد .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع: ١٧٢٣٤ / ٢٠٠٢م
I.S.B.N : 977-15-0391-X

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــر
مجمع البحوث الإسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة



السيد/الاستاذ/ محمد عايش عبيد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : موسى والخضر.......

....اسم............ تأليف......................

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ١٨/ ٣/ ١٤١٣
الموافق ١٦/ ٩/ ٩٢